

٨ر٩٥٣

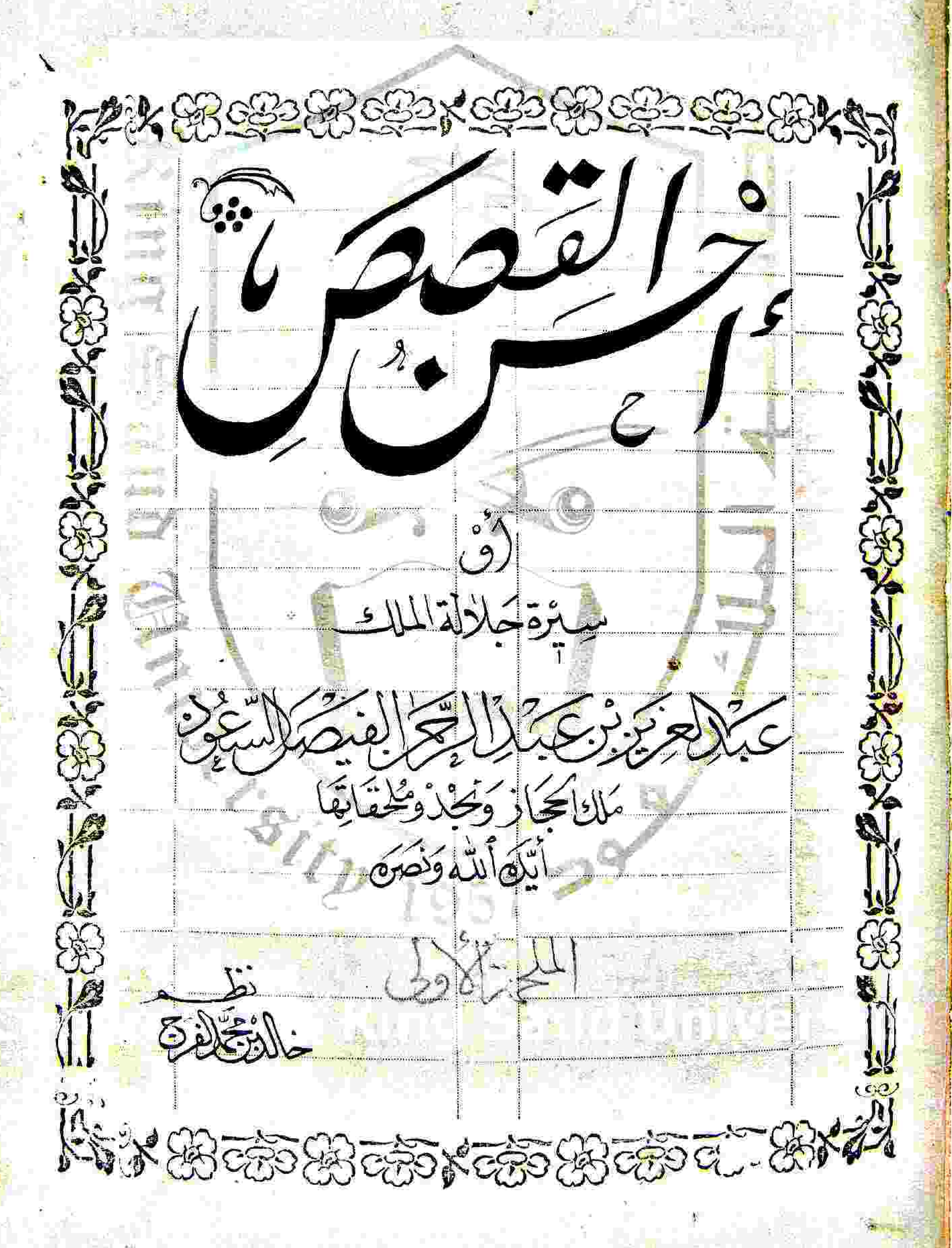
أ. ف أحسن القصص أو سيرة جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود ، نظم خالد بن محمد الفرج . كتبت في القرن الرابع عشر الهجري ، لعلها بخط المؤلف .

٣٢٢٢ ز ١٣٢ ص ١٥ س ١٨×٢٣ سم

نسخة جيدة ، خطها تعليق جيد .

١- تاريخ المملكة العربية السعودية أ- الفرج ، خالد بن محمد ب- الناسخ ج- تاريخ النسخ .





أحسن القصص

أو

سيرة جلالة الملك

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود

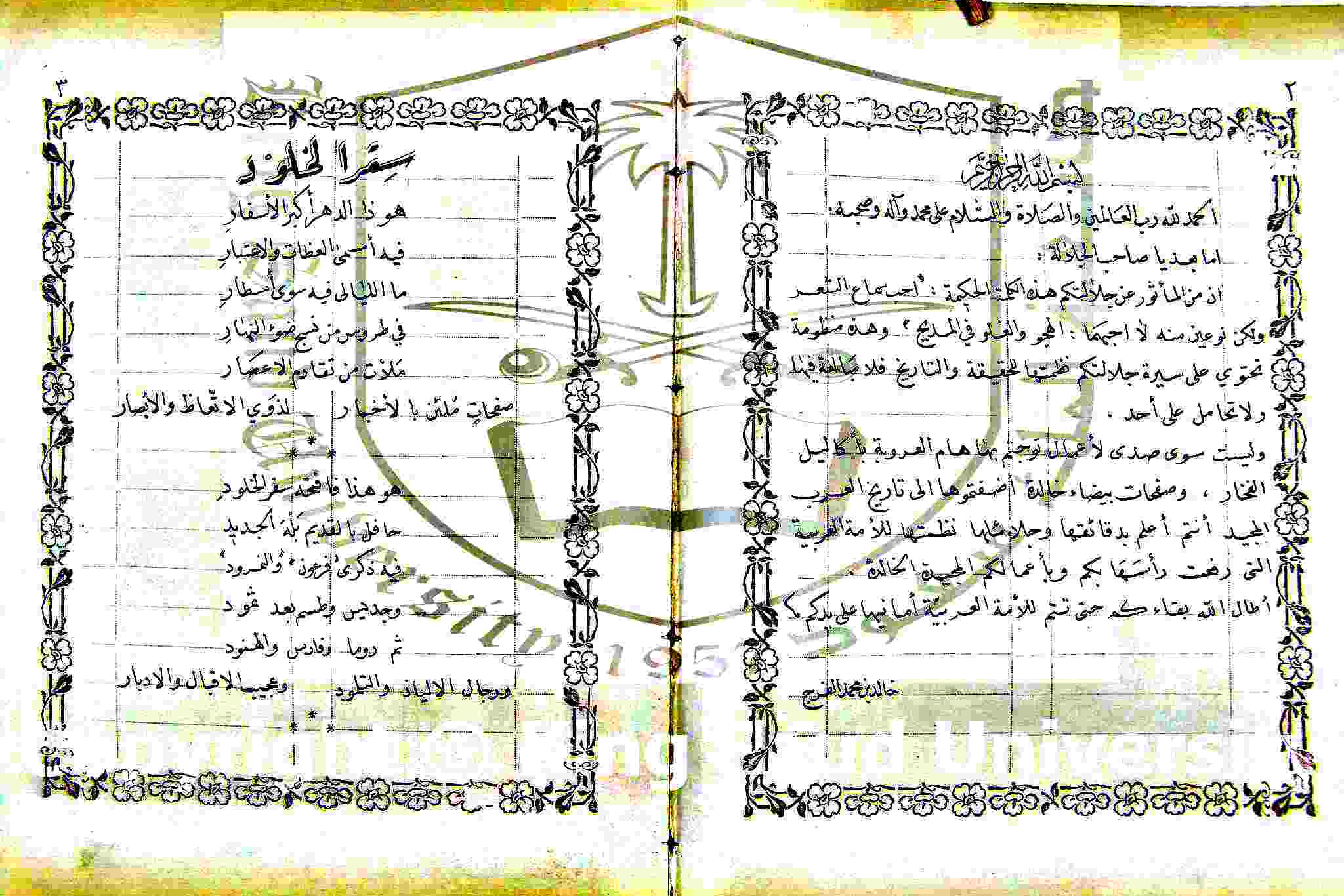
ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

أيده الله ونصره

الجزء الأول

نظم

خالد بن محمد الفرج



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه .

اما بعد يا صاحب الجلالة :

ان من المأثور عن جلالتكم هذه الكلمة الحكيمة : «أحب سماع الشعر ولكن نوعين منه لا احبهما : الهجو والغلو في المديح» وهذه منظومة تحتوي على سيرة جلالتكم ضمنتها الحقيقة والتاريخ فلا مبالغة فيها ولا تحامل على أحد .

وليست سوى صدى لأعمال توجتم بها هام العروبة بأكاليل الغار ، وصفحات بيضاء خالدة أضفتموها الى تاريخ العرب المجيد أنتم أعلم بدقائقها وجلائلها نظمتها للأمة العربية التى رفعت رأسها بكم وبأعمالكم المجيدة الخالدة .

أطال الله بقاءكم حتى تتم للأمة العربية أمانيها على يديكم .

خالد بن محمد الفرج

سفر الخلود

هو ذا الدهر أكبر الأسفارِ

فيه أسمى العظات والاعتبارِ

ما الليالى فيه سوى أسطارِ

في طروس من نسج ضوء النهارِ

مُلئت من تقادم الاعصار

صفحاتٍ مُلئن بالأخبار — لذوي الاتعاظ والأبصار

*
* *

هو هذا فاتحة سفر الخلود

حافل بالقديم بَلْهَ الجديد

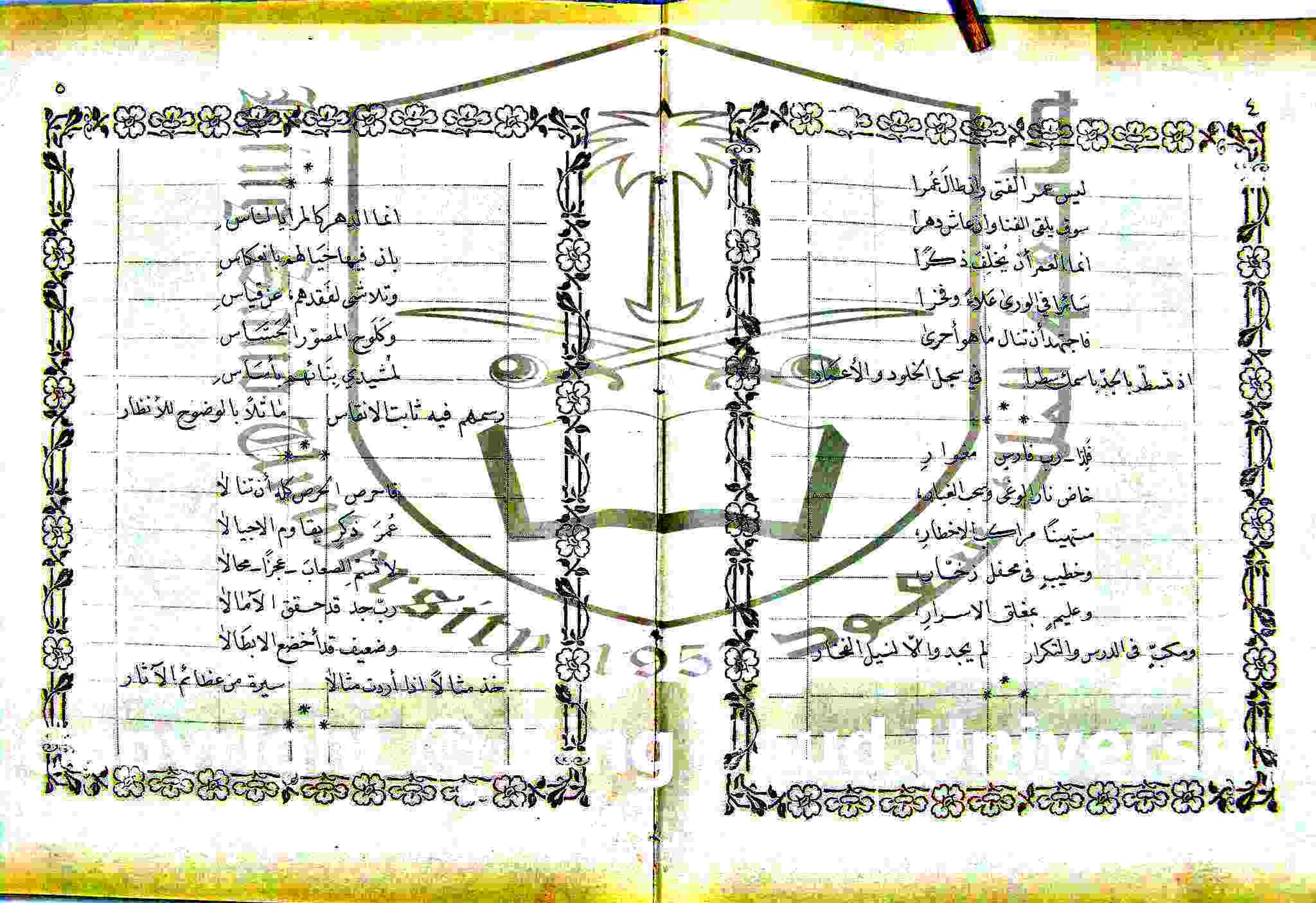
فيه ذكرى «فرعون» و«النمرود»

وجديس وطسم بعد ثمود

ثم روما وفارس والهنود

ورجال الالياذ والتلمود — وعجيب الاقبال والادبار

*
* *



ليس عمر الفتى وإن طال عمرا
سوف يلقى الفنا وإن عاش دهرا
إنما العمر أن يخلّف ذكرا
سائرا في الورى علاءً وفخرا
فاجتهد أن تنال ما هو أحرى
إذ تسطّر بالجدّ باسمك سطرا   في سجل الخلود والأعمار

* * *

فلذا رب فارس مغوار
خاض نار الوغى وسحب الغبار
مستهينا مراكب الأخطار
وخطيب في محفل زخّار
وعليم بمغلق الأسرار
ومكبّ في الدرس والتكرار   لم يجدوا إلا لنيل الفخار

* * *

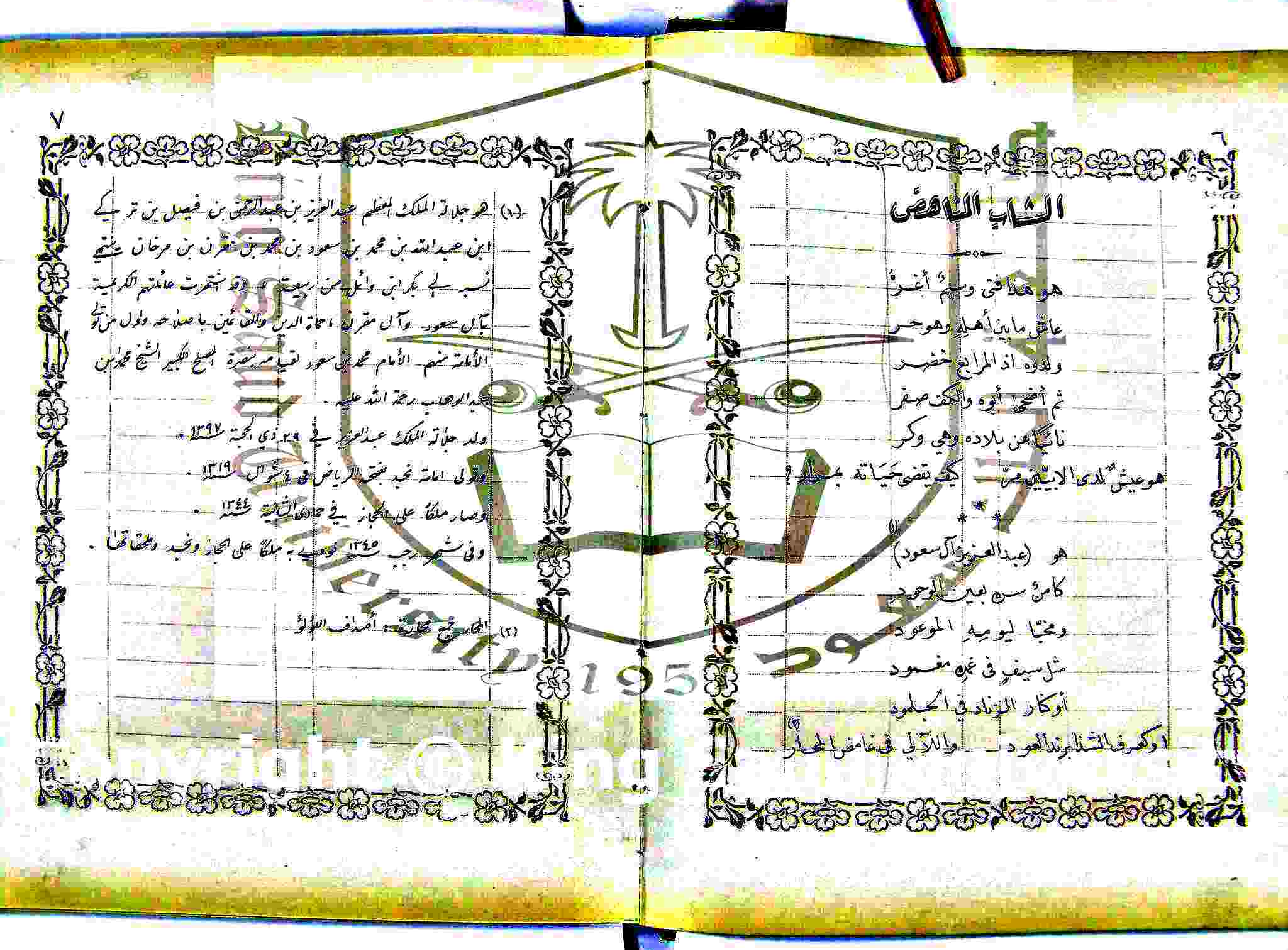
* * *

إنما الدهر كالمرايا للناس
بأن فيها حياتهم بانعكاس
وتلاشى لفقدهم عن قياس
وكلوح المصوّر الحسّاس
لمشيدي بنائهم بأساس
رسمهم فيه ثابتا لانتكاس   ماثلا بالوضوح للأنظار

* * *

فاحرص الحرص كله أن تنالا
عمرَ ذكرٍ يقاوم الأجيالا
لا تسمّ الصعاب عجزا محالا
ربّ جد قد حقق الآمالا
وضعيف قد أخضع الأبطالا
خذ مثالا إذا أردت مثالا   سيرة من عظائم الآثار

* * *



الشاب الناهض

هو هذا فتى وسيم أغرُّ
عاش ما بين أهله وهو حرٌ
ولدوه اذ المرابع خضر
ثم أضحى أبوه والكف صفر
نائياً عن بلاده وهي وكر
هو عيشٌ لدى الابيِّين مرٌّ كيف يقضي حياته بمرار؟

* * *

هو (عبد العزيز آل سعود)[1]
كامنٌ سره بعين الوجود
ومخبّا ليومه الموعود
مثل سيفٍ في غمده مغمود
أو كنار الزناد في الجلمود
أو كعرف الشذا بند العود والآلي في غامض المحار[2]

(١) هو جلالة الملك المعظم عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي ابن عبد الله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان ينتهي نسبه الى بكر ابن وائل من ربيعة وقد اشتهرت عائلتهم الكريمة بآل سعود وآل مقرن احماة الدين والمدافعين باصلاحه وأول من تولى الأمارة منهم الامام محمد بن سعود لقيامه بنصرة المصلح الكبير الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه .

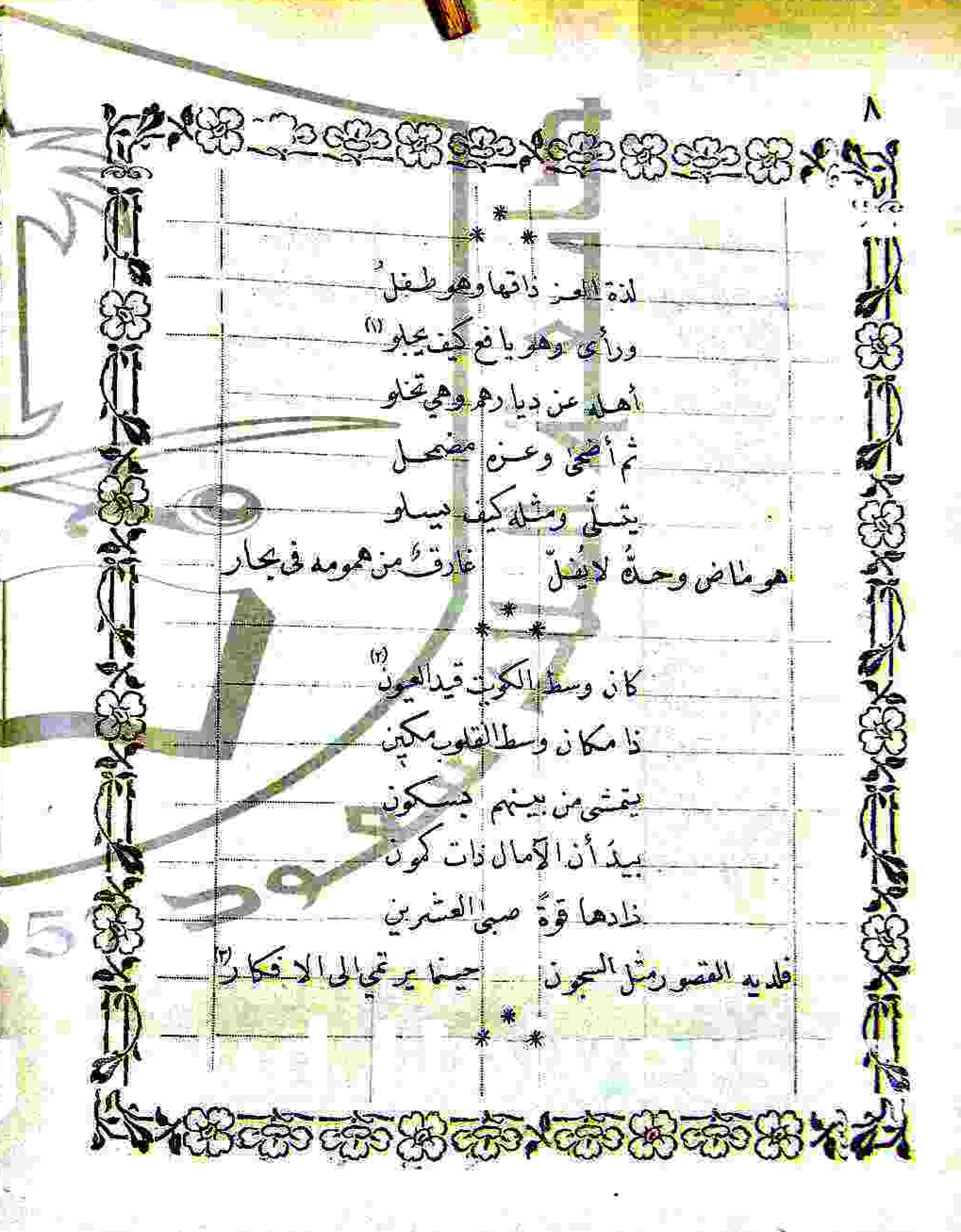
ولد جلالة الملك عبد العزيز في ٢٩ ذي الحجة سنة ١٢٩٧ .

وتولى امارة نجد بفتح الرياض في ٤ شوال سنة ١٣١٩ .

وصار ملكاً على الحجاز في جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ .

وفي شهر رجب سنة ١٣٤٥ نودي به ملكاً على الحجاز ونجد وملحقاتها .

(٢) المحار جمع محارة : أصداف اللؤلؤ .



* * *

لذة العز ذاتها وهو طفلُ

ورأى وهو يافع كيف يحلو (١)

أهله عن ديارهم وهي تخلو

ثم أضحى وعزمه مضمحل

يتسلى ومثله كيف يسلو

هو ماض وحدّهُ لا يُفلّ   غارقٌ من همومه في بحار

* * *

كان وسط الكويت قيد العيونْ (٢)

ذا مكان وسط القلوب مكين

يتمشى من بينهم بسكون

بيدَ أن الآمال ذات كمون

زادها قوةً صبي العشرين

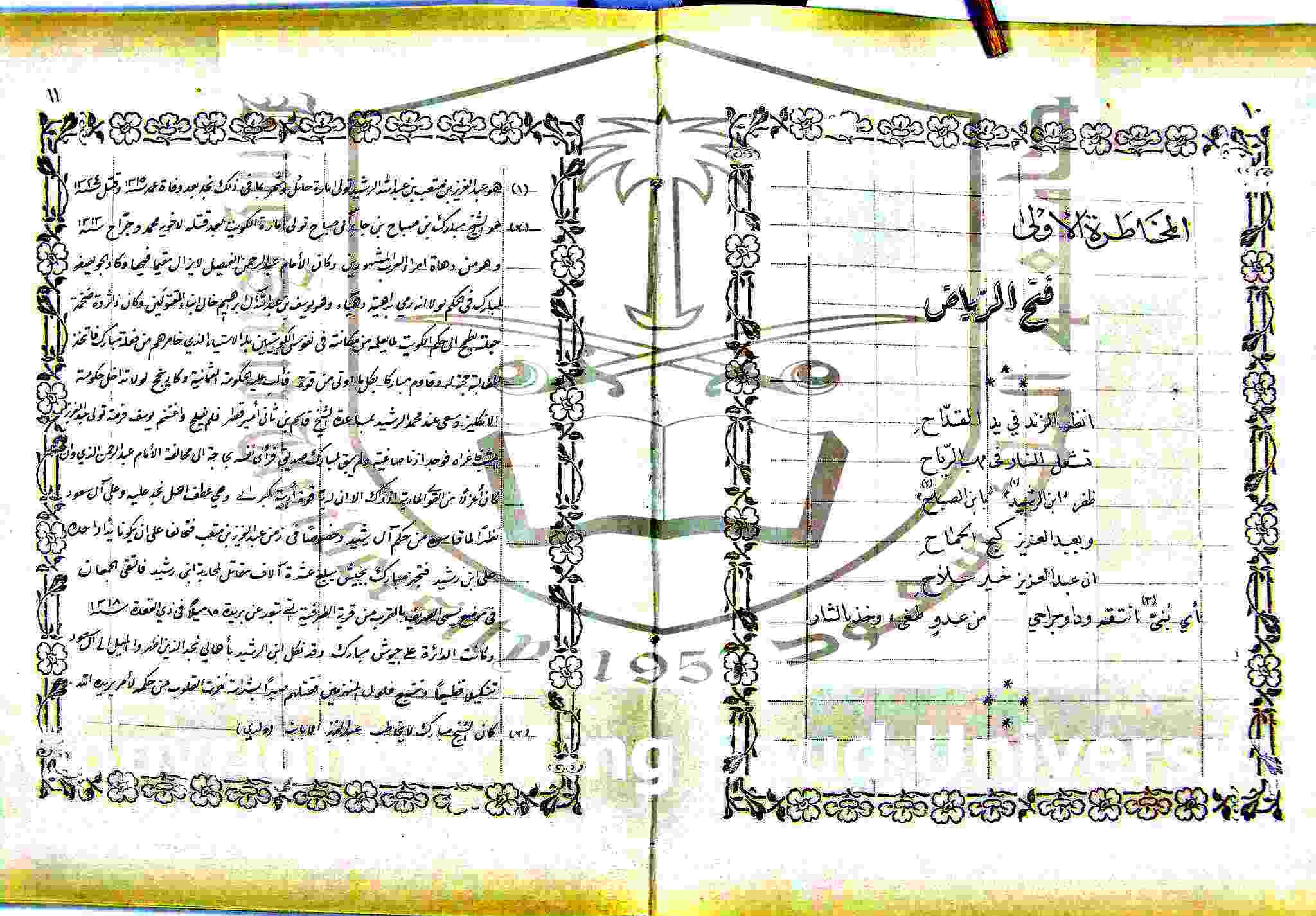
فلديه القصور مثل السجون   حينما يرتمي الى الافكار (٣)

* * *

(١) في سنة ١٣٠٨ تغلب محمد بن عبد الله الرشيد على أهل القصيم في وقعة المليدة وتم له الاستيلاء على نجد كلها بما في ذلك الرياض فقد كان الامام عبد الرحمن الفيصل خارجاً بجيوشه من الرياض لنجدة أهل القصيم فلما بلغه خبر انتصار ابن الرشيد كر راجعاً فأخرج عائلته من الرياض وأم الأحساء.

(٢) بعد أن وصل الامام عبد الرحمن الى الأحساء قابله مندوب من قبل واليها عاكف باشا يعرض عليه أن يعود الى الرياض ويتولاها من قبل الدولة العثمانية وكان الوالي يقصد من ذلك اعتراف آل سعود بخضوعهم الفعلي للدولة ولعلم الامام ان الاتراك عاجزون عن مساعدته مساعدة فعلية ولعلمه بنواياهم نحوه رفض ما اشترطوه عليه بإباء. وتوجه الى الكويت وعاد منها الى قطر ودعاه الوالي ثانياً الى الأحساء واتفق معه على أن تدفع له الدولة معاشاً شهرياً وأن يقيم وعائلته في الكويت.

(٣) سمعت من سمو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين السابق ان الملك عبد العزيز لما مر بالبحرين بصحبة والده اثناء ذهابه الى الكويت وعمره اذ ذاك لا يتجاوز الحادية عشر سأل الشيخ عيسى: أقطر احسن ام البحرين؟ فأجاب على الفور: الرياض أحسن منهما! قال الشيخ عيسى فدهشت لهذا الجواب السريع وعلمت ان وراء الأكمة ما وراءها.



المخاطرة الأولى

فتح الرياض

* * *

انظر الزند في يد القدّاح

تشعل النار في مهب الرّياح

ظفر "ابن الرشيد"[1] "بابن الصباح"[2]

وبعبد العزيز كبح الجماح

ان عبد العزيز خير صلاح

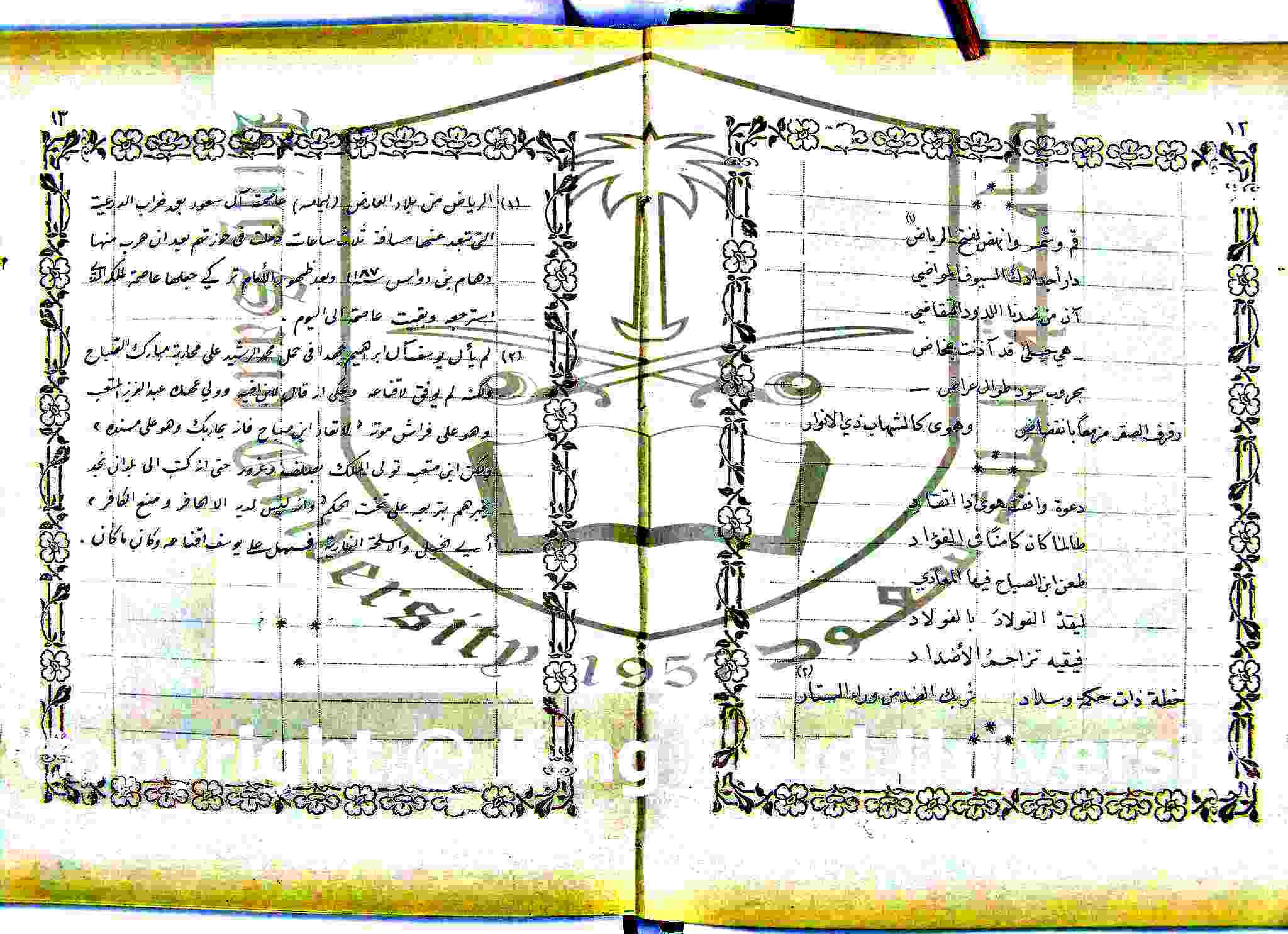
أي بنيّ[3] انتقم وداو جراحي   من عدوٍ طغى، وخذ بالثار

* * *

(١) هو عبد العزيز بن متعب بن عبد الله الرشيد تولى امارة حائل وشمر علاوة على ذلك نجد بعد وفاة عمه سنة ١٣١٥ وقتل سنة ١٣٢٤

(٢) هو الشيخ مبارك بن صباح بن جابر آل صباح تولى امارة الكويت بعد قتله لاخويه محمد وجراح سنة ١٣١٣ وهو من دهاة امراء العرب المشهورين وكان الامام عبد الرحمن الفيصل لا يزال مقيما فيها وكان ذا حظوة عند مبارك في الحكم لولا انه رمي بالعيبة دهيا، وهو يوسف بن عبد الله آل ابراهيم خال ابناء المقتولين وكان ذا ثروة ضخمة جعلته يطمح الى الحكم في الكويت لما يعلمه من مكانته في نفوس الكويتيين بعد الاستياء الذي خامرهم من فعلة مبارك فاتخذ [illegible] تحته له وقاوم مباركا بكل ما اوتي من قوة فألب عليه الحكومة العثمانية وكاد ينجح لولا تدخل حكومة الانكليز وسعى عند محمد الرشيد بمساعدة الشيخ قاسم بن ثاني أمير قطر فلم ينجح واغتنم يوسف فرصة تولي عبد العزيز بن متعب فاغراه فوجد اذنا صاغية ولم يبق لمبارك صديق فرأى نفسه بحاجة الى محالفة الامام عبد الرحمن الذي وإن كان أعزلا من القوى المادية الآن لكن له قوة أدبية كبرى وهي عطف اهل نجد عليه وعلى آل سعود نظرا لما قاسوه من حكم آل رشيد وخصوصا في زمن عبد العزيز بن متعب فتحالفا على ان يكونا يدا واحدة على ابن رشيد فتجهز مبارك بجيش يبلغ عشرة آلاف مقاتل لمحاربة ابن رشيد فالتقى الجمعان في موضع يسمى الصريف بالقرب من قرية الطرفية التي تبعد عن بريدة ١٥ ميلا في ذي القعدة سنة ١٣١٨ وكانت الدائرة على جيوش مبارك وقد نكل ابن الرشيد بأهالي نجد الذين اظهروا الميل الى آل سعود تنكيلا فظيعا وتتبع فلول المنهزمين فقتلهم صبرا بشدة تنفر القلوب من حكمه لأمر يريده الله.

(٣) كان الشيخ مبارك لا يخاطب عبد العزيز الا بابنه (ولدي)



* * *

قم وشمّر وانهض لفتح الرياض (1)

دار أجدادك السيوف المواضي

آن من صدنا اللدود التقاضي

هي حبلى قد آذنت بمخاض

بحروب سود طوال عراض

رفرف الصقر مزمعاً بانقضاض   وهوى كالشهاب ذي الانوار

* * *

دعوة وافقت هوى ذا اتقاد

طالما كان كامناً في الفؤاد

طعن ابن الصباح فيها الأعادي

ليقدّ الفولاذ بالفولاد

فيقيه تزاحم الأضداد

خطة ذات حكمة وسداد   ترك الضد من وراء الستار (2)

* * *

(1) الرياض من بلاد العارض (اليمامة) عاصمة آل سعود بعد خراب الدرعية التي تبعد عنها مسافة ثلاث ساعات بعلت في خزتم بعد ان هرب منها دهام بن دواس سنة ١١٨٧ وبعد ظهور الامام تركي جعلها عاصمة للمملكة التي استرجعها وبقيت عاصمة الى اليوم.

(2) لم يأل يوسف آل ابراهيم جهداً في حمل محمد الرشيد على محاربة مبارك الصباح ولكنه لم يوفق لاقناعه وحكي انه قال لابن اخيه وولي عهده عبد العزيز المتعب وهو على فراش موته « لاتعاد ابن صباح فانه يحاربك وهو على مسنده » ولكن ابن متعب تولى الملك بصلافة وغرور حتى انه كتب الى بلدان نجد يخبرهم بتربعه على تخت الحكم « وانه ليس لديه الا الحافر وصنع الكافر » أي الخيل والاسلحة النارية فسهل على يوسف اقناعه وكان ما كان.

* * *

* * *

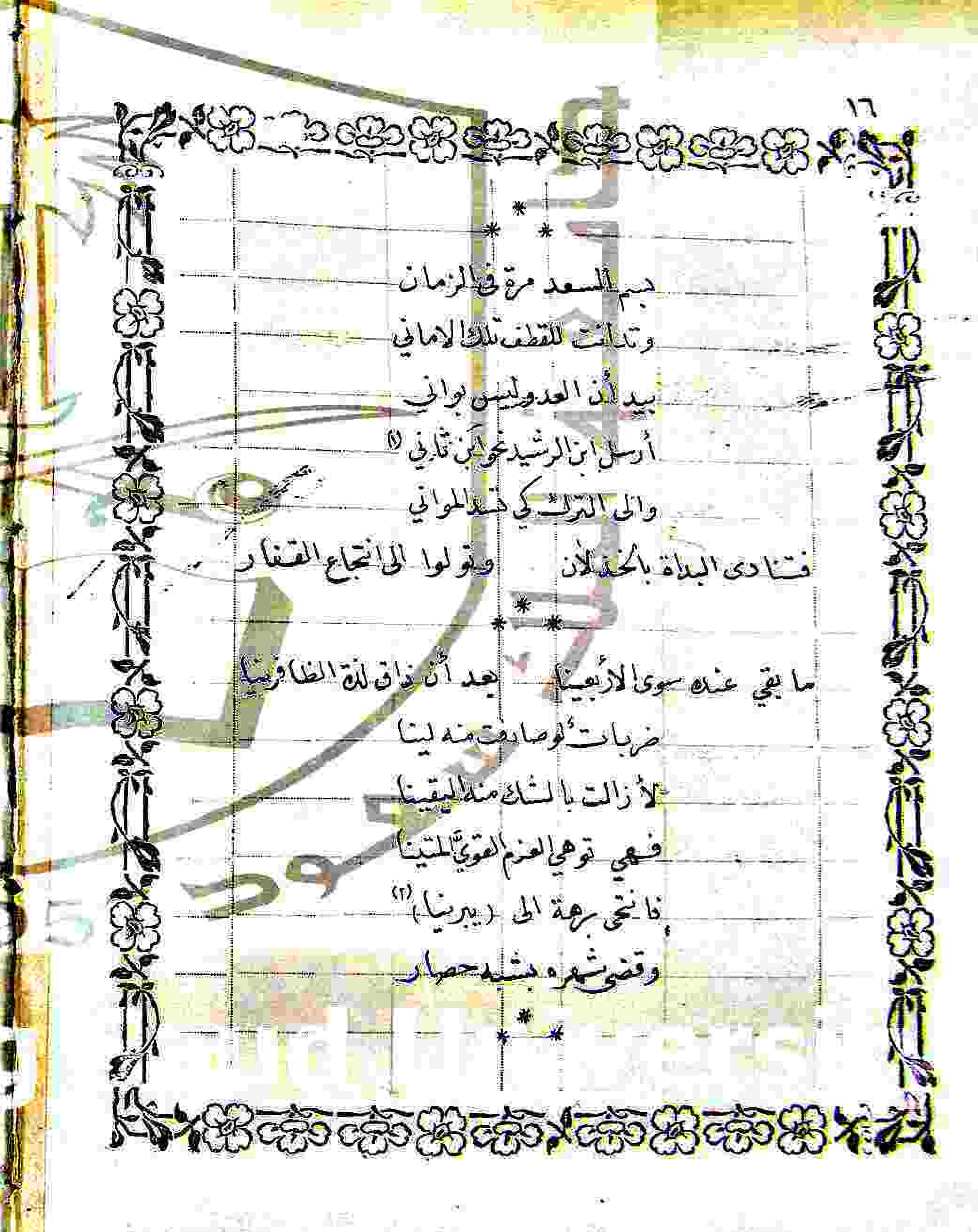
ما توانى فتى العلى بل أجابا
لا يبالي خطأً أتى أم صوابا
قام للموت يستحث الركابا
موقناً انه يلاقي الصعابا
بِضَياءٍ عُيّنٌ الألبابا
من توانى عن المآرب خابا   ويفوز الجسور بالأوطار

* * *

فتيتي[1] بأربعين ذلولا
لا ترى فيهم كهاماً ذليلا
يضرب البيد عرضها والطولا
فدعى بدوها قبيلاً قبيلا
وسبيعاً ومرةً والسهولا
فأتوا نحوه رعيلا رعيلا   وأتى حرض بالجيوش الكثار

* * *

(١) لما خرج مبارك الصباح بجيوشه الجرارة الى الصريف سنة ١٣١٨ كان الامام عبد العزيز معه وسنه اذ ذاك لا يتجاوز العشرين وقد طلب من مبارك قوة يسير بها نحو الرياض ليفتحها فسير معه من موضع يقال له الشوك مقدار الف رجل فاحتلها ولكن حامية ابن الرشيد اعتصمت بقصرها الحصين فحاصرها فيه وكاد يستولي عليه لولا أن وافته أخبار هزيمة مبارك في الصريف فتركها ولوى عنانه راجعاً وفي سنة ١٣١٩ أعاد الطلب غير يائس معتمداً على بأسه وايمانه الصادق بالفوز وقد كانت حالة مبارك لا تساعده على المجازفة بالكثير بعد ذاق تلك التجربة القاسية فكانت الحملة مؤلفة من أربعين بعيراً ليس فيها سوى آل سعود ومواليهم المخلصين لهم وقد زودهم مبارك بمائتي ريال وثلاثين بندقية وبعض الزاد خرجت الحملة وعلى رأسها عبد العزيز فأم البادية ليستنفر قبائلها فأتاه شراذم من العجمان وانضم اليه سبيع ومرة والسهول وغيرهم فاتى (حرض) وقد اجتمع لديه ما يقارب الألف والخمسمائة فشن الغارة على قبائل من مطير وقحطان والدواسر وغيرها فأصاب مغنما وظل يغزو القبائل التابعة لآل رشيد ويعود الى الأحساء فيتمون منها



* * *

بسم السعد مرة في الزمان

وتدانت للقطف تلك الاماني

بيد أن العدو ليس بواني

أرسل ابن الرشيد نحو ابن ثاني (١)

والى الترك كي تشد المواني

فنادى البداة بالخذلان   وتولوا الى انتجاع القفار

* * *

ما بقي عنه سوى لأربعينا   بعد أن ذاق لذة الظافرينا

ضربات لو صادفت منه لينا

لأزالت بالشك منه اليقينا

فهي توهي العزم القوي المتينا

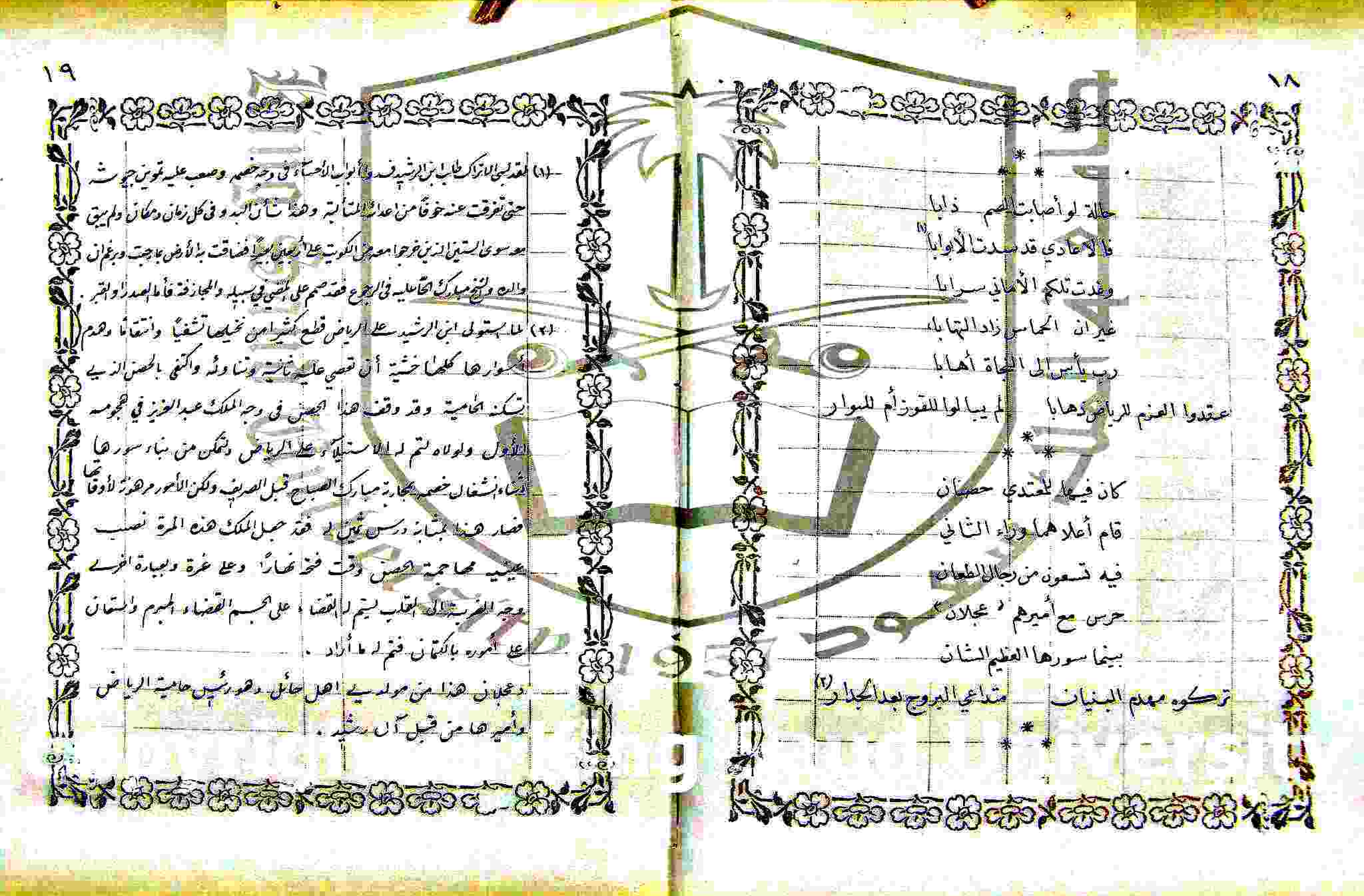
فانتحى برهة الى (يبرينا) (٢)

وقضى شهره بشبه حصار

* * *

(١) هو الشيخ قاسم بن محمد بن ثاني أمير قطر ورئيس عشيرة المعاضيد تولى أبوه امارة قطر من قبل آل خليفة امراء البحرين وكانت قطر من ملحقات امارتهم وكانوا حكامها قبل استيلائهم على البحرين وناب الشيخ قاسم في الامارة عن أبيه لكبر سنه وكانت نفسه تنزع الى الاستقلال ورفع نير آل خليفة عن قطر وبعد حروب طويلة تم له ما اراد ولكنه لم يكد يتخلص من آل خليفة حتى اصطدم بالاتراك بعد استيلائهم على الأحساء سنة ١٢٨٩ ومازال يحاربهم تارة ويسالمهم اخرى الى ان ضعف شأنهم واكتفوا منه بنقطة صغيرة في قطر هي في الواقع كلا وعدم الى ان توفي سنة ١٣٣١ بعد ان اربى على المائة وقد خلف كثيراً من الأولاد وكان مشهوراً بالكرم والتمسك بالديانة وايراده من تجارة اللؤلؤ التي هي حياة سكان ضفاف الخليج .

(٢) يبرين واحة كبيرة جنوبي الأحساء تبعد عنها ١٥٠ ميلاً وكانت ذات عمران واسع وشهرة كبيرة تدل عليها بقية آثارها الكثيرة ونخيلها الكثيف الملتف ، وكثر ورودها في أشعار العرب المتقدمين وهي الآن من مساكن بني مرة ويكثر بها حمى الملاريا لوفرة مياهها ومستنقعاتها وبعضهم يغلط فيسميها جبرين والصحيح انها بالياء .



* * *

حالة لو أصابت الصم ذابا

فالأعادي قد سدت الأبوابا (1)

وغدت تلكم الأماني سرابا

غير أن الحماس زاد التهابا

رب يأس إلى النجاة أهابا

عقدوا العزم للرياض ذهابا   لم يبالوا للفوز أم للبوار

* * *

كان فيها للمعتدي حصنان

قام أعلاهما وراء الثاني

فيه تسعون من رجال الطعان

حرس مع أميرهم "عجلان"

بينما سورها العظيم الشان

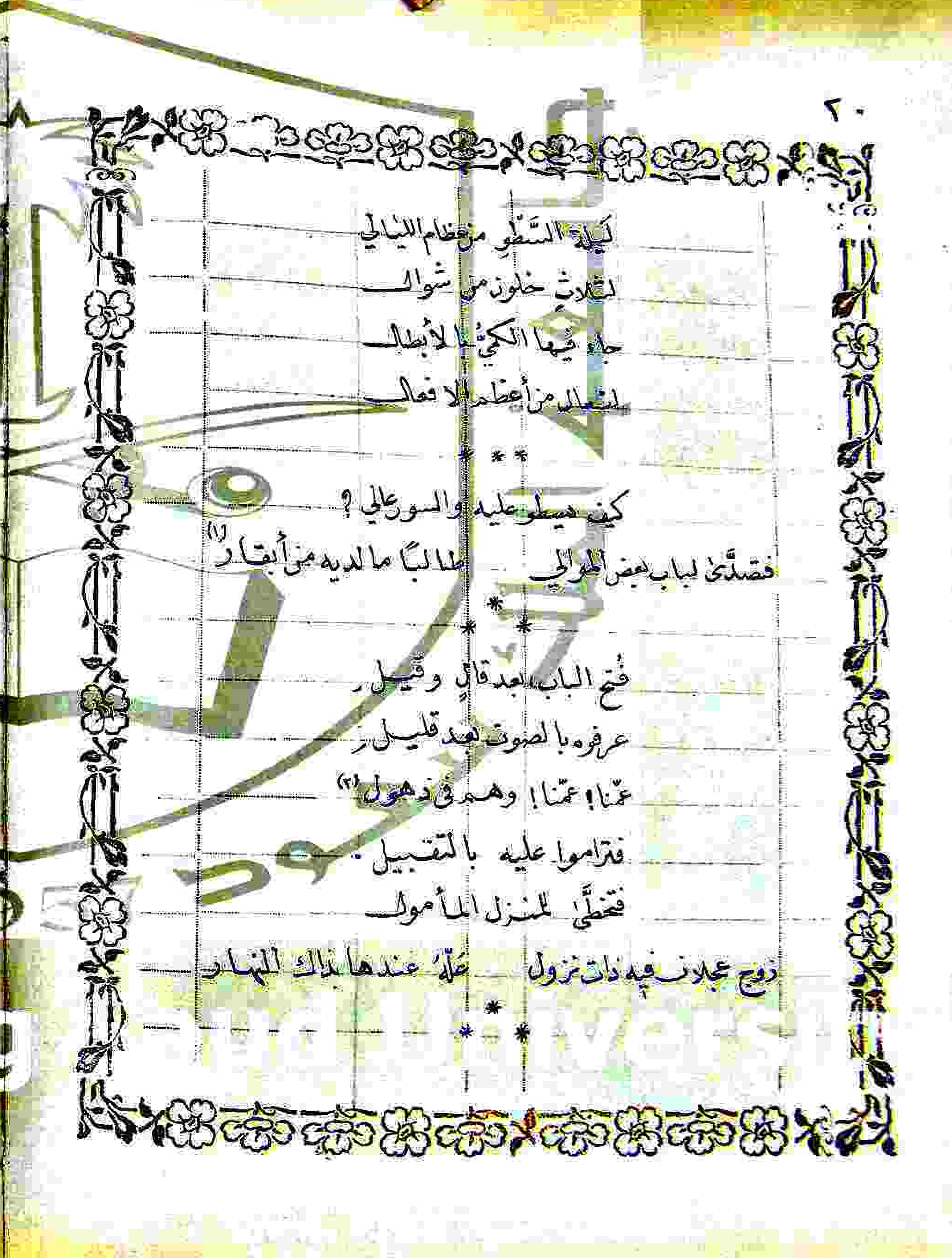
تركوه مهدم البنيان   متداعي البروج بعد الجدار (2)

* * *

(1) لقد لبى الأتراك طلب ابن الرشيد فسدوا أبواب الأحساء في وجه خصمه وصعب عليه تموين جيوشه حتى تفرقت عنه خوفاً من عداء السلطة وهذا شأن البدو في كل زمان ومكان ولم يبق معه سوى الستين الذين خرجوا معه من الكويت على أربعين بعيراً فضاقت به الأرض بما رحبت وبرغم أن والده الشيخ مبارك ألحّ عليه في الرجوع فقد صمم على المضي في سبيله والمجازفة فإما الصدر أو القبر.

(2) لما استولى ابن الرشيد على الرياض قطع كثيراً من نخيلها تشفياً وانتقاماً وهدم أسوارها كلها خشية أن تعصي عليه ثانية وتناوئه واكتفى بالحصن الذي يسكنه الحامية وقد وقف هذا الحصن في وجه الملك عبد العزيز في هجومه الأول ولولاه لتم له الاستيلاء على الرياض وتمكن من بناء سورها أثناء انشغال خصمه بمحاربة مبارك الصباح قبل الصريف ولكن الأمور مرهونة لأوقاتها فصار هذا بمثابة درس ثمين له فقد جعل الملك هذه المرة نصب عينيه مهاجمة الحصن وقت فتحه نهاراً وعلى غرة وبعبارة أخرى وجه الضربة إلى القلب ليتم له القضاء على الخصم القضاء المبرم واستعان على أموره بالكتمان فتم له ما أراد.

وعجلان هذا من مولدي أهل حائل وهو رئيس حامية الرياض وأميرها من قبل آل رشيد.



لَيلةُ السّطوِ من عظامِ الليالي

لثلاثٍ خلونَ من شوالِ

جاءَ فيها الكميُّ بالأبطالِ

لنضالٍ من أعظمِ الأفعالِ

* * *

كيف يسطو عليه والسورُ عالي ؟

فتصدّى لبابِ بعضِ الموالي طالبًا ما لديه من أبقار[1]

* * *

فُتح البابُ بعدَ قالٍ وقيلِ

عرفوه بالصوتِ بعدَ قليلِ

عمّنا! عمّنا! وهم في ذهولِ[2]

فتراموا عليه بالتقبيلِ
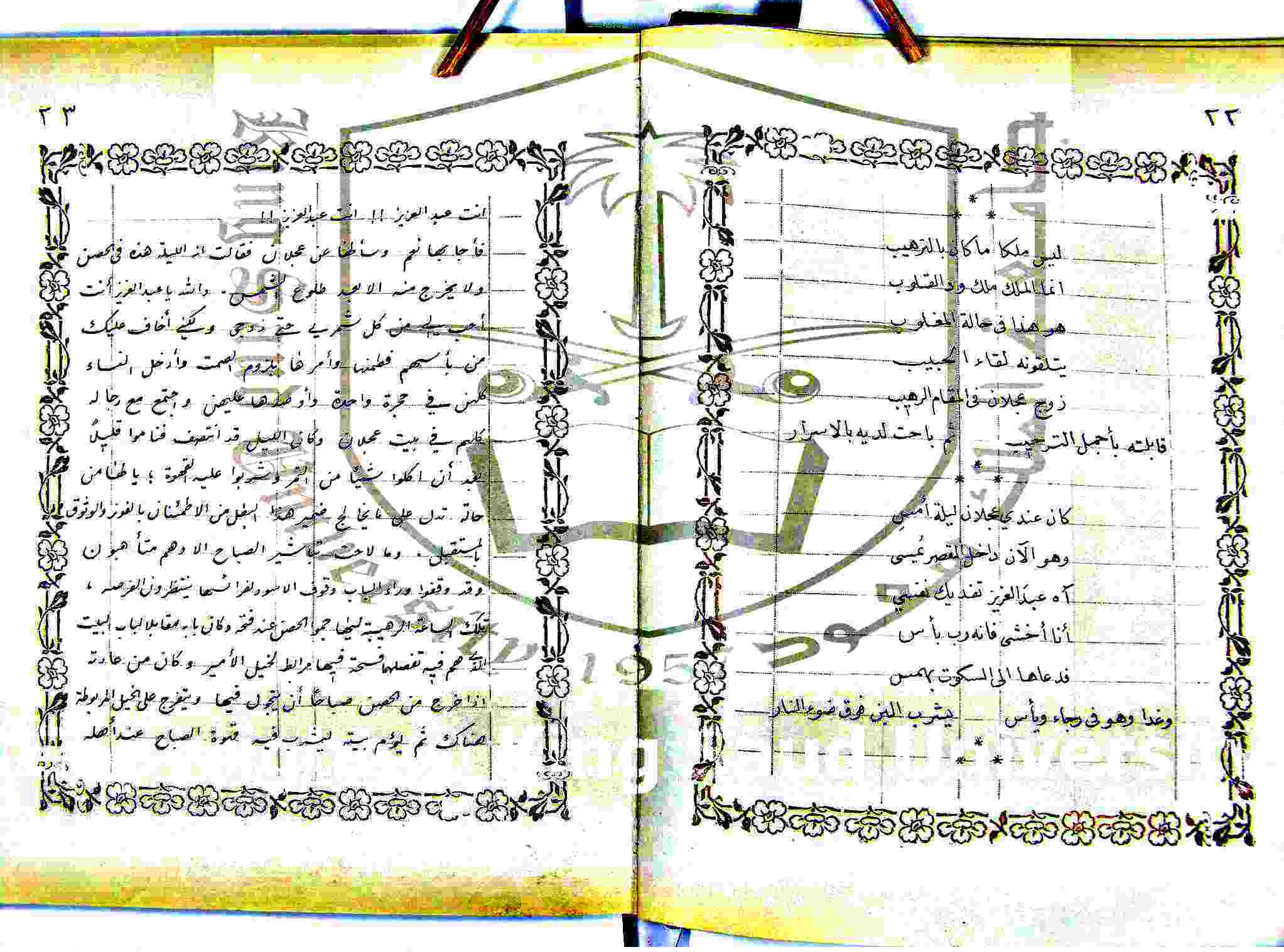
فتخطّى للمنزلِ المأمولِ

زوجُ عجلانَ فيه ذاتُ نزولِ علّهُ عندها بذاكَ النهارِ

* * *

(١) صمم عبدالعزيز على المضي في سبيله فترك يبرين ووجهته الرياض وفي ليلة ٤ شوال سنة ١٣١٩ أناخوا على بعد ساعتين منها فاختار من جنده أربعين رجلًا وفيهم أخوه محمد وابن عمه عبدالله بن جلوي وترك عشرين رجلًا في رحالهم وعندما وصل الى طرف البلد أبقى أخاه محمدًا ومعه ثلاثون رجلًا وتقدم بالعشرة الباقين للقيام بمهمته وكان يؤمل أن يجد عجلانا في بيت زوجته خارج الحصن الداخلي وهو واقع في طرف القصر الخارجي ويجاوره بيت لبعض فلاحي أهل الرياض فطرقه عبدالعزيز بحجة انه من رجال الأمير عجلان يبتغي شراء بقر للضيف وبعد قال وقيل فتحوا الباب فعرفوه وتراموا عليه يقبلونه فأمرهم بالسكوت وأقفل عليهم الحجرة وتخطى منها الى البيت المجاور فوجد فيه شخصين نائمين فلفهما بالفرش وأودعهما حجرة أخرى وأرسل في طلب أخيه محمد ومن معه فجاؤوا يتسللون ولم يشعر بهم أحد ثم تسلقوا الى بيت زوج عجلان وهي من أهل الرياض وإحدى موالي آل سعود ولكنه تلك الليلة لم يكن هناك فوجدوها مع أختها وليس في البيت أحد سواهما فأيقظها فاستوتا جالستين برباطة جأش فطمأنهما قائلًا لا بأس عليكما اذا سكتما ولم تكد زوجة عجلان تميز وجهه على ضوء السراج حتى عرفته وخاطبته قائلة : (البقية ٣٣)

(٢) عمّنا عمّنا أي سيدنا سيدنا.



* * *

ليس ملكا ما كان بالترهيب

انما الملك ملك ود القلوب

هو هنا في حالة المغلوب

يتلقونه لقاء الحبيب

زوج عجلان في المقام الرهيب

قابلته بأجمل الترحيب ثم باحت لديه بالاسرار

* * *

كان عند عجلان ليلة أمس

وهو الآن داخل القصر عيسى

آه عبدَ العزيز تفديك نفسي

أنا أخشى فانه رب بأس

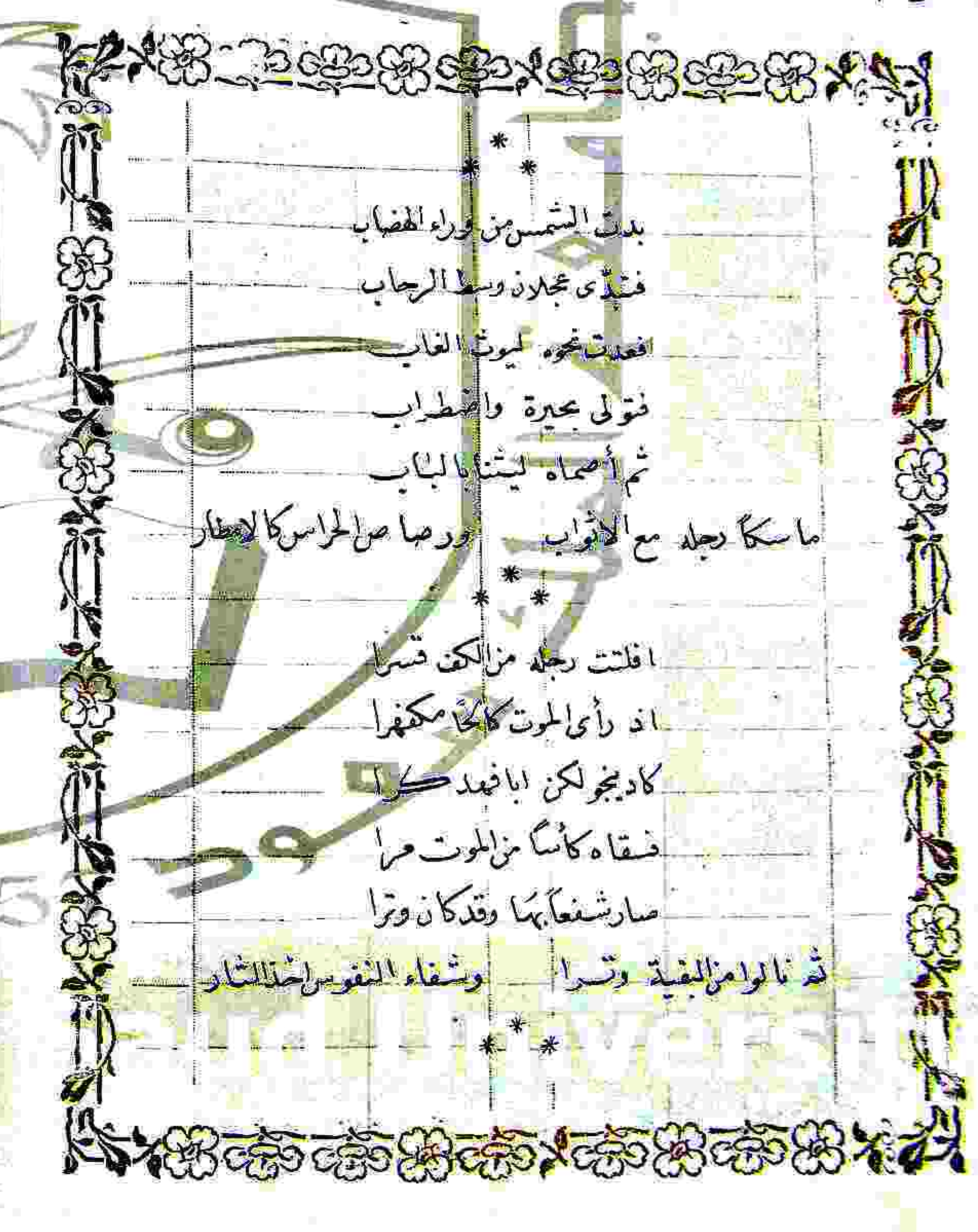
فدعاها الى السكوت بهمس

وغدا وهو في رجاء ويأس يشرب البن فوق ضوء النار

* * *

— انت عبد العزيز !! انت عبد العزيز !!

— فأجابها نعم وسألها عن عجلان فقالت انه الليلة هنا في الحصن ولا يخرج منه الا بعد طلوع الشمس . والله يا عبد العزيز أنت أحب الي من كل شيء حتى زوجي ولكني أخاف عليك من بأسهم فطمنها وأمرها بلزوم الصمت وأدخل النساء كلهن في حجرة واحدة وأوصدها عليهن واجتمع مع رجاله كلهم في بيت عجلان وكان الليل قد انتصف فناموا قليلاً بعد أن أكلوا شيئاً من التمر وشربوا عليه القهوة ! يا لها من حالة تدل على ما يخالج ضمير هذا البطل من الاطمئنان بالفوز والوثوق بالمستقبل . وما لاحت تباشير الصباح الا وهم متأهبون وقد وقفوا وراء الباب وقوف الاسود لفرائسها ينتظرون الفرصة ، تلك الساعة الرهيبة ليهجموا الحصن عند فتحه وكان بابه مقابلا لباب البيت الذي هم فيه تفصلهما فسحة فيها مرابط لخيل الأمير . وكان من عادته اذا خرج من الحصن صباحاً أن يتجول فيها ويتفرج على الخيل المربوطة هناك ثم يؤم بيته ليشرب فيه قهوة الصباح عند أهله



* * *

بدت الشمس من وراء الهضاب

فتبدّى عجلان وسط الرحاب

فعدت نحوه ليوث الغاب

فتولى بحيرة واضطراب

ثم أصماه ليثنا بالباب

ماسكاً رجله مع الأبواب   ورصاص الحراس كالأمطار

* * *

افلتت رجله من الكف قسرا

اذ رأى الموت كالحاً مكفهرا

كاد ينجو لكن ابا فهد كرا

فسقاه كأساً من الموت مرا

صار شفعاً بها وقد كان وترا

ثم نالوا من البقية وترا   وشفاء النفوس اخذ الثار

* * *

ذر قرن شمس يوم ٤ شوال سنة ١٣١٩ فتحت خوخة باب الحصن (وهي باب صغير لا يكاد المرء يمر منه يكون في نفس الباب الكبير الذي هو في الغالب موصد) وخرج عجلان على عادته يتجول في الفسحة ثم أم بيته وهم وراء الباب يرقبونه ولا يدري ما خبأ له القدر من مصير فما شعر الا وعبد العزيز قد خرج من البيت يعدو نحوه والسيف مسلول بيمينه ووراءه خمسة عشر رجلاً من بينهم أخوه محمد وابن عمه عبد الله بن جلوي فانقلب راجعاً وهو يركض وكاد يدخل الخوخة لولا أن عبد العزيز عاجله فأمسك برجله وقد دخل نصفه ورماه عبد الله بحربة فاخطأته وارتكزت بالباب فانكسرت ولا تزال باقية في مكانها الى اليوم وكأن حبه للحياة ولدفع قوة خارقة مكنته من الجذب بنفسه فافلت وقد صعد رجاله الى أعلى الباب واخذوا يطلقون النار على الهاجمين من الكوى (المصاليت) فقتلوا اثنين وجرحوا أربعة ولكن عبد الله اقتحم الباب وراء عجلان فارداه بطلق ناري وجلله بعد ذلك بالسيف فقضى وصاح عبد العزيز بالباقين فافتحوا الباب واخذوا يقتلون الحامية ولم يبق منها سوى عشرين تحصنوا ببرج من ابراج القصر ونزلوا بعد أن امنهم على حياتهم.

ابو فهد كنية عبد الله بن جلوي بن الامام تركي وهو أمير الاحساء الآن

*
*

ثم نادى بحكم آل السعود
وأتاه الاهلون بالتأييد
في نهار على الجميع سعيد
اذ نجوا من ولاة آل الرشيد
بين وال عات وبين عبيد
ودعاهم من بعد أخذ العهود — لبناء البروج والاسوار (١)

*
*

يفقد الملك كل من لا يسوس
واذا لم تهو الملوك النفوس
لا تقيه شجاعة وخميس
هكذا ابن الرشيد فهو عبوس
فاتك ظالم غشوم شموس
فارس ان تشب حرب ضروس — لم يكن ذا تبصر وافتكار (٢)

*
*

(١) بعد ان احتل عبد العزيز القصر وقتل الحامية نادى مناديه في البلد ان الحكم لله ثم لعبد العزيز بن عبد الرحمن فاستولت على الناس عاطفتا الدهشة لهذه المفاجأة والفرح فأقبلوا نحو القصر زرافات ووحدانا يسلمون عليه ويهنئونه ويبايعونه على السمع والطاعة ويحمدون الله على خلاصهم من ارهاب ولاة آل الرشيد وعسفهم فقد كانوا ينظرون الى الرياض واهلها نظرات الحقد والبغضاء والاحتقار. فأمرهم لفوره ببناء السور وترميم المتهدم منه ففعلوا ذلك واتموه في بضعة اسابيع ومن يطلع على دائرته يعلم مقدار ما بذلوه من الهمة والتعب في اعادة بنائه.

(٢) كان عبد العزيز المتعب الرشيد فارسا شجاعا وبطلا مغوارا الى حد الهوج وبلغت به شجاعته درجة من القساوة والسطوة افقدته المرونة السياسية التي هي من شروط الأمراء الاساسية. واعلى درجة من الشجاعة الهوجاء فكان مثال الجبروت والكبرياء والصلف وتروى عنه حكايات تعد من باب الخرافات لغرابتها يقابل ذلك منه سوء التدبير وعدم الأخذ بالحزم والرأي والتبصر على حد قول الشاعر:

أعطيت ملكا فلم تحسن سياسته — وكل من لا يسوس الملك يخلعه

مطاولات ومناوشات

١٣١٩ — ١٣٢٢

كاتب الترك مستعيناً فطالا

أمرهم حين سوفوه مطالا

وهو يبغي من الكويت احتلالا

جاهلاً أنه يريد المحالا

أين للترك أن يحيوا السؤالا

خشي ابن الصباح منهم فوالى — دولة الانكليز بالاضطرار

* * *

أهمل الامر وهو كان يسيرا

لو تلافاه ، ثم أضحى عسيرا

عندها ابن السعود أضحى مغيرا

وغدا في جنوب نجد أميرا

فرأى ابن الرشيد أمراً خطيرا

والى حائل أغذ المسيرا — ليوافي بجحفل جرار

استولى عبد العزيز على الرياض وابن رشيد مقيم على الحفر يكاتب الترك وهم يماطلونه
ويطاولونه وقد علق آماله جميعها على احتلال الكويت ومتى تم له ذلك تمكن من
القضاء على حركات ابن سعود ولو بالحصر الاقتصادي ولكنه برغم حضارته فهو عريق في
الأفكار البدوية ولا يعلم عن المجاز السياسية شيئاً ما وربما انه لم يحسب حساباً لانضواء مبارك
تحت علم الحماية وقد يكون غير عارف بمعنى تلك الحماية وما هو التزاحم السياسي بين
الترك والانكليز والى اي حد تقف قوتهما دون جمعها وولاة الترك [illegible]
بأخرى ومماطلة رغبة في تواصل هداياه وللتظاهر أمامه بأنهم أصحاب الحول والطول في
هذه المسألة ايهاماً وتمويهاً لئلا تخرج الكبرياء الخاقانية. فظل يعلق الآمال على وعودهم ولم يهمه
سقوط الرياض حتى قال لما بلغه الخبر (ارنب مجحرة واهلها مقيمون) واكتفى ببعض سرايا يرسلها وتعود
اليه خائبة حتى تمكن الفاتح من الاستعداد فأتم بناء الاسوار وشن الغارات على قبائل ابن
رشيد وبعض البلاد حتى تم له الاستيلاء على الخرج والحريق والحوطة والافلاج
ووادي الدواسر من بلدان نجد الجنوبية وكاتبته البلدان الشمالية بالطاعة سراً
فرأى ابن الرشيد ما لم يكن في حسبانه بعد ان يئس من وعود الأتراك
فلوى عنانه زاحفاً الى حائل ليجند الجيوش ويتجهز وقد آلى على نفسه ان لا
يدخل حائل الا بعد يقضي على حركة ابن سعود وهكذا كان فقد قتل ولم يدخلها

* * *

وأتى زاحفًا رويدًا رويدا

جاعلا قطعه للمؤونة قيدا

أجنب ابن السعود ينصب كيدا

باعثا للعدو عمرًا وزيدا

فأشاعوا عنه فرارًا وحيدا

فأتى هاجمًا، فصادوه صيدا   ولدى الخرج باء بالانكسار

* * *

وانقضى العام كله في هجوم

ودفاع ومقعد ومقيم

وأتته البلاد بالتسليم

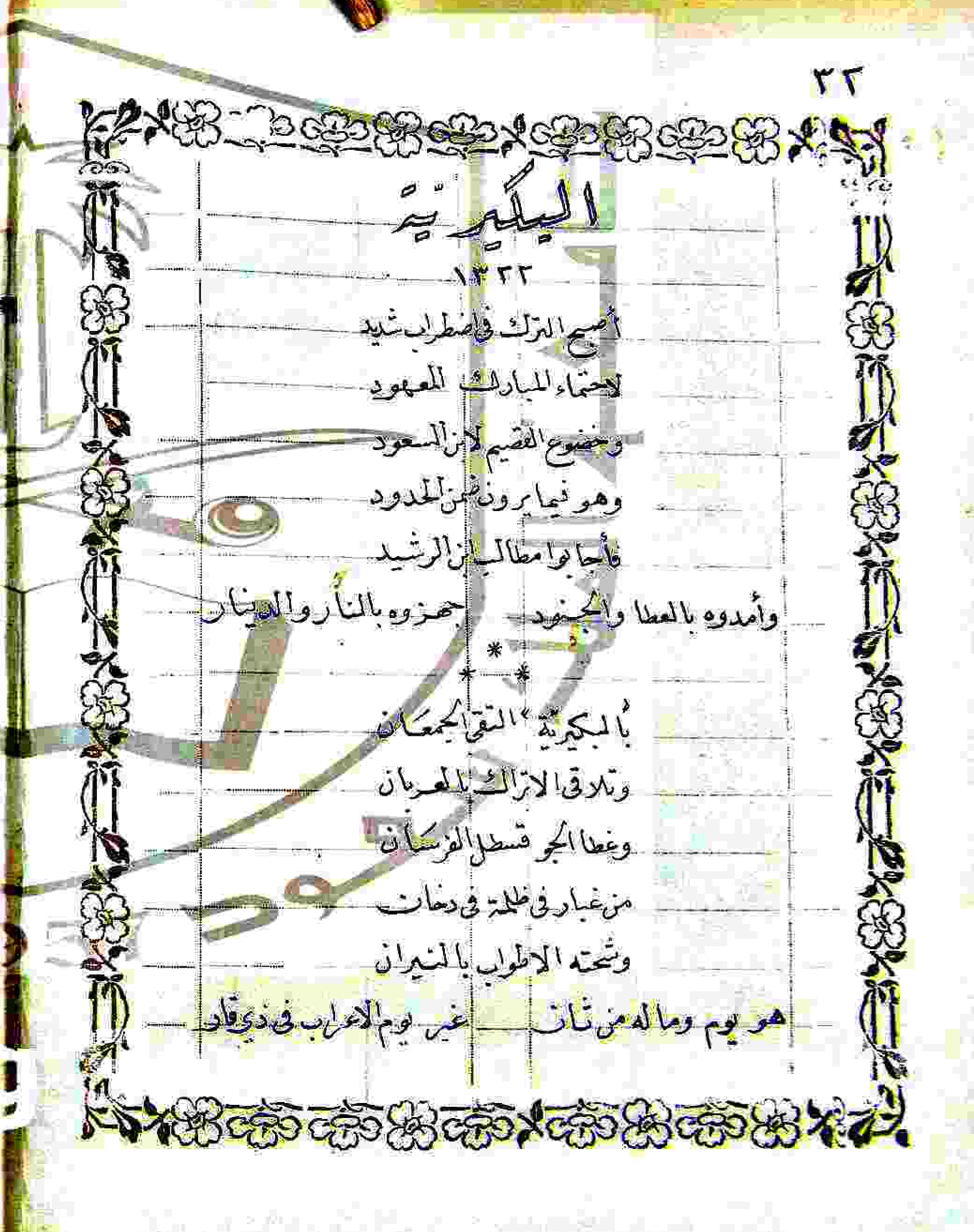
بعد حرب تشيب رأس الفطيم

وانتهى الامر باحتلال القصيم

محور الدائرات بين الخصوم   فيه رجحان كفة المعيار

* * *

في اثناء مسير ابن الرشيد الى حائل انتقل الامام عبد الرحمن من الكويت
الى الرياض بعد غيبة احدى عشرة سنة. وعاد ابن الرشيد الى الحفر ليقطع
الميرة عن الرياض بعد ان عجز عن محاصرتها في مناورات اجراها وفشل فيها
وقد تخلفت عنه القبائل التي كان يظنها موالية له. ولم يجد ابن السعود بدًا من
الالتحام معه ومناجزته فتوجه الى الخرج وأشاع انه هرب الى الجنوب خوفًا من خصمه
فانطلت الحيلة على ابن الرشيد فأقبل مسرعًا حتى نزل على بنيان وهو موضع
يبعد عن الرياض عشرين ميلًا فقط وهناك علم ان ابن سعود في حائر سبيع بالخرج
فاضطر ان يهاجم الدلم وجرت بينهما عدة وقائع انهزم فيها ابن الرشيد وتقهقر راجعًا
الى الحفر واغار على قبائل الكويت وصمم على محاصرتها فاستنجد مبارك بعبد العزيز فوافاه بعشرة
آلاف وقد كان خرج منها باربعين وغزا مع جابر بن مبارك على رأس جيش عرمرم فبلغهم
ان ابن الرشيد رجع الى حائل فأغاروا على مطير في جولبن ولكن ابن الرشيد قد خدعهم فهاجم
الرياض وفيها الامام عبد الرحمن فرجع المحاربة وكسره وعلى اثر ذلك عاد عبد العزيز من الكويت
متجهًا معه العائلة وجرت عدة وقائع سلمت فيها شقرا وغيرها من بلاد نجد وفي
النهاية استولى على عنيزة وبريدة وبلاد القصيم كلها وتم له الاستيلاء على
نجد قاطبة بعد ان كسر جيوش ابن الرشيد وسراياه.



البكيرية

١٣٣٢

أصبح الترك في اضطراب شديد

لاحتماء المبارك المعهود

وخضوع القصيم لابن السعود

وهو فيما يرون ضمن الحدود

فأجابوا مطالب ابن الرشيد

وأمدوه بالعطا والجنود ــــ جهزوه بالنار والدينار

*

* *

بالبكيرية التقى الجمعان

وتلاقى الاتراك بالعربان

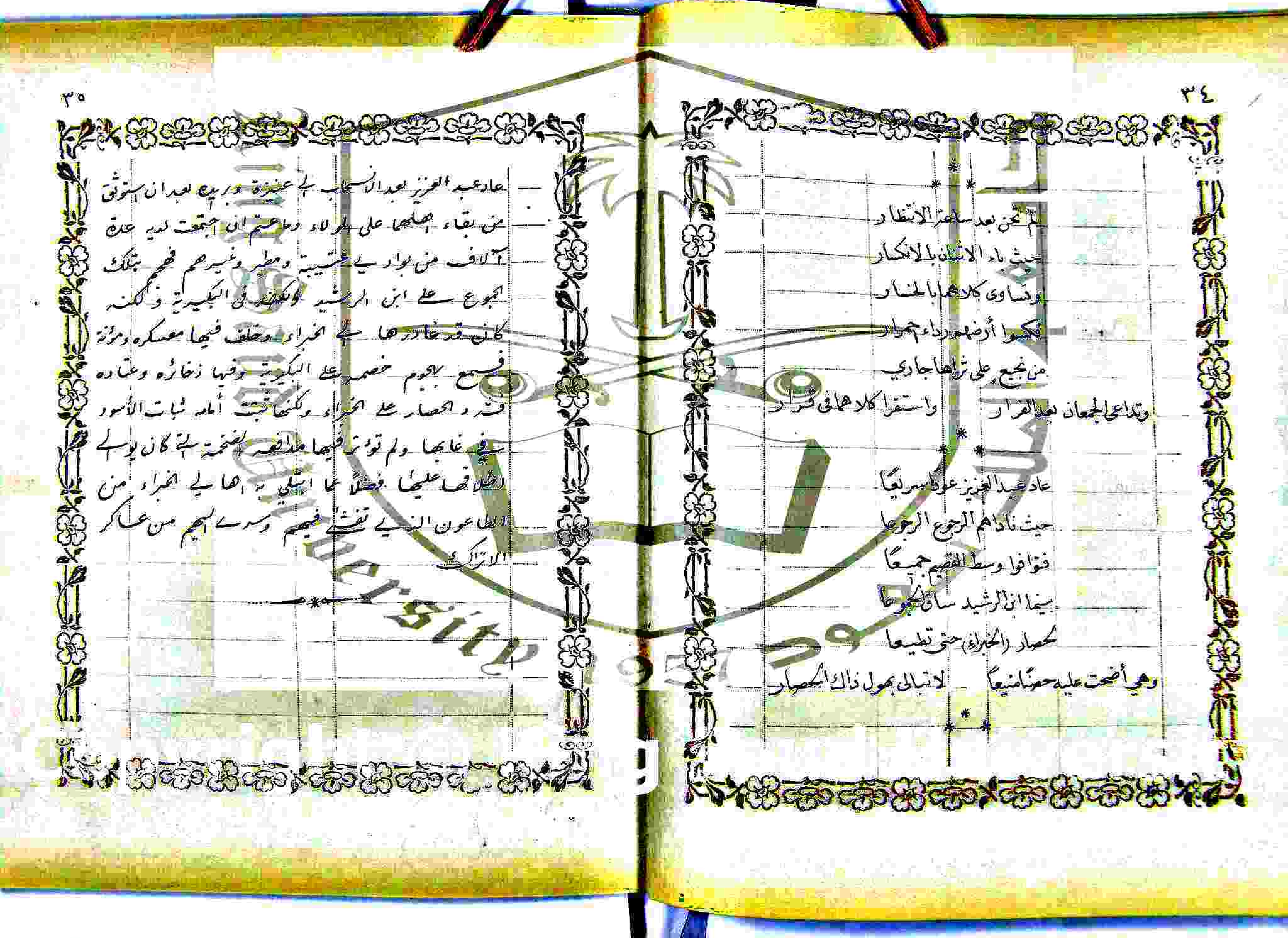
وغطا الجو قسطل الفرسان

من غبار في ظلمة في دخان

وشحنه الاطواب بالنيران

هو يوم وما له من ثان ــــ غير يوم الاعراب في ذي قار

البكيرية قرية من قرى القصيم بين بريدة والرس جرت فيها الوقعة الحاسمة التي غيرت مجرى التاريخ في جزيرة العرب وانتجت نتيجتين في وقت واحد فقد قضت على نفوذ الاتراك وهيبتهم في نجد قضاء مبرماً وزعزعت ملك ابن الرشيد فلم تقم له قائمة بعدها. لم تكن الدولة العثمانية تحسب لابن سعود حساباً قبل استيلائه على القصيم الذي تعده من جملة الممالك العثمانية بل كانت توازيها وتخصم في نجد لصديقها ابن رشيد ليبقى على الدوام محتاجاً اليها وكانت ترجح عدم الاصطدام لصاحب الكويت خوفاً على سفينتها من الصخرة البريطانية الجاثمة هناك. ولما قد ضرب ابن السعود على الرأس الحساس وتم له ملك القصيم فلم يكن لها بد من امالة الشام ومقابلته وجهاً لوجه فأمدت خصمه بأحد عشر طابوراً من العساكر العثمانية واربعة عشر مدفعاً وما لا يحصى من الذخيرة والمؤنة والنقود. واضاف الى تلك القوة كلما استطاع ان يجمعه من قبائل شمر وغيرها. والتقى بتلك الجيوش الجرارة الى نزل البكيرية وفي غرة ربيع الثاني سنة ١٣٣٢ التقى بعبد العزيز ومعه جموع اهل العارض والقصيم وكل من انضم اليه من البادية وجرت الملحمة بين الجيشين: بين الترك ومعهم ابن الرشيد والعرب ومعهم ابن سعود فاغارت قبائل هذا على معسكر هذا وتمت الهزيمة على الجانبين سواء بسواء



ثم نحن بعد ساعة الانتظار

حيث باء الاثنان بالانكسار

وتساوى كلاهما بالخسار

فكسوا أرضهم رداء احمرار

من نجيع على ثراها جاري

وتداعى الجمعان بعد الفرار   واستقرا كلاهما في قرار

* * *

عاد عبد العزيز عودًا سريعًا

حيث ناداهم الرجوع الرجوعا

فتوافوا وسط القصيم جميعًا

بينما ابن الرشيد ساق الجموعا

لحصار (الخبراء) حتى تطيعا

وهي أضحت عليه حصنًا منيعًا   لا تبالي بهول ذاك الحصار

* * *

عاد عبد العزيز بعد الانسحاب في عنيزة وبريدة بعد أن استوثق من بقاء أهلهما على الولاء وما عتم أن اجتمعت لديه عدة آلاف من بوادي عتيبة ومطير وغيرهم فهجم بتلك الجموع على ابن الرشيد المعسكر في البكيرية ولكنه كان قد غادرها إلى الخبراء وخلف فيها معسكره ومؤنته فسمع بهجوم خصمه على البكيرية وفيها ذخائره وعتاده فترك الحصار على الخبراء ولكنها ثبتت أمامه ثبات الأسود في غابها ولم تؤثر فيها مدافعه الضخمة التي كان يواصل إطلاقها عليها فضلًا عما ابتلي به أهالي الخبراء من الطاعون الذي تفشى فيهم وسرى إليهم من عساكر الأتراك.

*

*
* *

جاءَ عبدالعزيز والعربانُ

ليوافوا اعداءهم حيث كانوا

فأتاهم في جمعه (سلطانُ)

فتلقاه عندها الفرسان

أول الفجر فاستحر الطعان

فولّى بجيشه، والمكان — ثم اخضاعه بذاك النهار

*
* *

ومضى ابن الرشيد نحو الشنانهْ

جامعاً في ربوعها عربانه

مفرغاً كل ماله في الكنانه

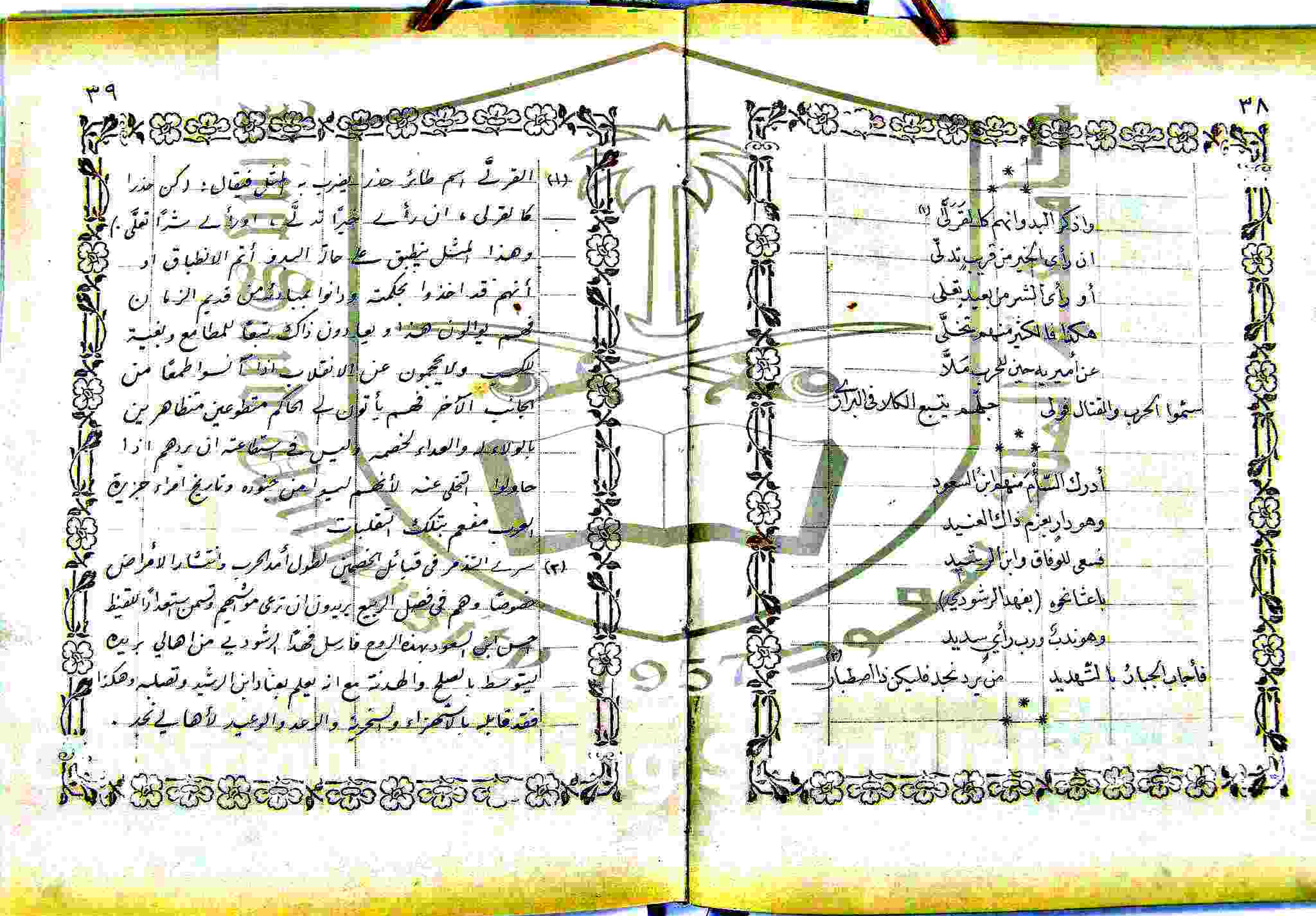
وعلى الرس حيث الفى جرانه

سئمَ الكلُ قومَهُ ومكانَه

اذ غدا الموت ينتقي فتيانه — بالمواضي وبالوباء الساري

*
* *

سمع ابن الرشيد بهجوم خصمه على البكيرية وهي مركز معسكره وفيها عتاده. فأرسل سلطان بن حمود الرشيد ومعه سرية كبرى لصد الهجوم عن البكيرية فالتحموا معه بمعركة هائلة ادت الى انهزام سلطان هزيمة شنيعة وتقدم ابن السعود الى البلدة فاحتلها من يومه وفتك بحامية ابن الرشيد التي فيها وهرب من سلم منهم وطاردت خيله خيل ابن الرشيد حتى اشرفت على الخبراء عندها تقهقر الى الرس ونزل على الشنانة جنوبا منها وطوق الرس بالحصار وشدد الوطأة عليها ونصب المدافع وشرع يرميها ومع ان أميرها قتل اثناء ذلك الحصار فانها لم تسلم واستبسل اهلها في سبيل الدفاع عن انفسهم لخوفهم من فظاعته ومن ذلك نذكر سرعة استيلاء ابن السعود على البكيرية ووقوف الرس هذا الموقف وطال أمد الحرب ثلاثة أشهر وهم في مناوشات ومطاردات حتى مل الناس تلك الحال فقد انتنت الأمكنة من جثث القتلى وانتشرت الأمراض الفتاكة بين المعسكرين والصيف عظيم فنظراً من تلك الامراض الوبائية



*

* *

واذكر البدو انهم كالقرلّي (١)

ان رأى الخير من قريب تدلّى

أو رأى الشر من بعيد تعلّى

هكذا فالكثير منهم تخلّى

عن أميريه حين للحرب ملّا

سئموا الحرب والقتال تولى … جلّهم يتبع الكلا في البراري

*

* *

أدرك الشام منهم ابن السعود

وهو دارٍ بعزم ذاك العنيد

فسعى للوفاق وابن الرشيد

باعثا نحوه (بفهد الرشودي)

وهو ندبٌ ورب رأيٍ سديد

فأجاب الجبار بالتهديد … من يرد نجد فليكن ذا اصطبار (٢)

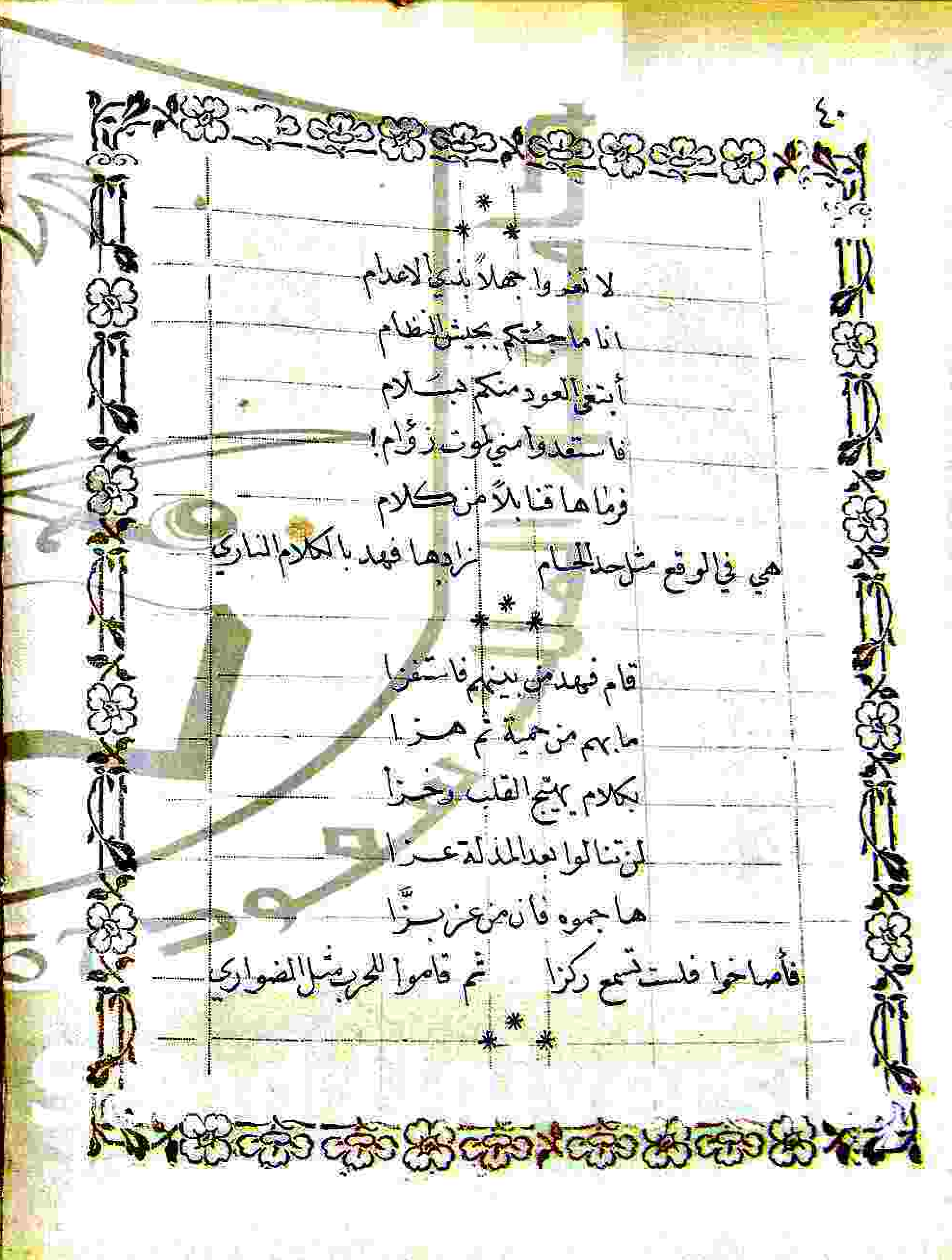
*

* *

(١) القرلّى اسم طائر حذر يضرب به المثل فيقال: (كن حذرا كالقرلى، ان رأى خيرا تدلّى، وان رأى شرا تعلّى).

وهذا المثل ينطبق على حالة البدو أتم الانطباق اذ أنهم قد اخذوا بحكمته ودانوا بمبادئه من قديم الزمان فهم يوالون هذا ويعادون ذاك تبعا للمطامع وبغية للكسب ولا يحجمون عن الانقلاب اذا آنسوا طمعا من الجانب الآخر فهم يأتون الى الحاكم متطوعين متظاهرين بالولاء والعداء لخصمه وليس في استطاعته ان يردهم اذا حاولوا التخلي عنه لأنهم ليسوا من جنوده وتاريخ امراء جزيرة العرب مفعم بتلك التقلبات.

(٢) سرى التذمر في قبائل القصيم لطول أمد الحرب وانتشار الأمراض خصوصا وهم في فصل الربيع يريدون ان ترعى مواشيهم وتسمن استعدادا للقيظ حس ابن السعود بهذه الروح فارسل فهدا الرشودي من اهالي بريدة ليتوسط بالصلح والهدنة مع انه يعلم بعناد ابن الرشيد وتصلبه وهكذا فقد قابله بالاستهزاء والسخرية والوعد والوعيد لأهالي نجد.



* * *

لا تغروا جهلاً بنفي لاعدام
انا ما جئتكم بجيش النظام
أبتغي العود منكم بسلام
فاستعدوا مني لموت زؤام!
فوماها قنا بلاً من كلام
هي في الوقع مثل حد الحسام   زادها فهد بالكلام الناري

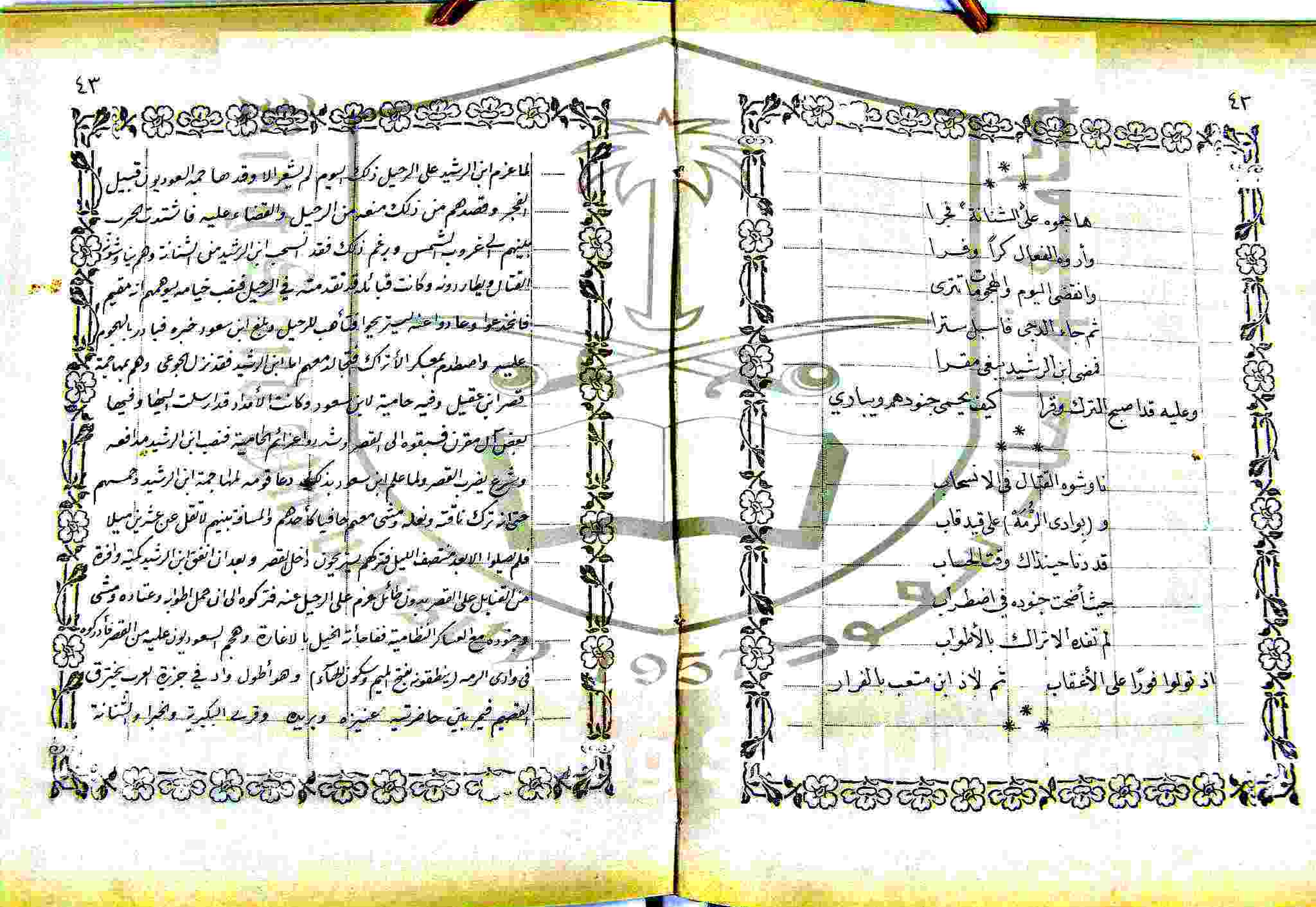
* * *

قام فهد من بينهم فاستفزا
ما بهم من حمية ثم هزا
بكلام يهيّج القلب وخزا
لن تنالوا بعد المذلة عزا
هاجموه فان من عز بزّا
فأصاخوا فلست تسمع ركزا   ثم قاموا للحرب مثل الضواري

* * *

عاد فهد يحيل ذلك التهديد فقال يخاطب عبد العزيز وقومه ليس لكم عند ابن متعب غير السيف وما اراه الا كفرعون بني اسرائيل سيقتل رجالكم ولا يترك الا النساء ان تولى عليكم اثرت كلمات فهد في قلوب الحاضرين فقرروا مهاجمته مهما كلفهم ذلك .

أضاع ابن متعب الفرصة ولم يغتنم جنوح خصمه الى المسالمة فيجنح لها ويملي شروطه بعز مع ان خصمه عرف كيف يستر ضعفه وكبريائه ليوقد الحمية في قلوب جنده ولم يكن التذمر والاستياء من طول أمد الحرب خاصاً بمعسكر ابن سعود فقد قامت شمر تشكي من نقص الأموال والرجال وهددت اميرها بالرحيل عنه اذا لم يرحل معها فاعتذر بتعذر نقل العساكر عليه وكانت جماله قد فقد منها ما يربو على عشرة آلاف واصبحت جنود الدولة العلية كلاً عليه وبعد الاخذ والرد اتفقوا على ان البدو من شمر يتحملون قسماً من امتعة الجنود وعتادهم فهم بالرحيل تاركاً عدوه وراءه وهذه الحالة تدلنا على مبلغ عقلية ابن الرشيد وعدم تدبيره فانه رفض الصلح الشريف الذي عرض عليه ليرحل بدون طائل بل انه رحل رحيل المنهزم المغلوب وحيداً أضعف من شأنه ورفضه للصلح وتهديده اوقد النار في قلوب اعدائه وشد عزائمهم على مهاجمته والقضاء عليه .



* * *

هاجموه على الشنانة فجرا

وأروه النضال كراً وفرا

وانقضى اليوم والهجومات تترى

ثم جاء الدجى فاسبل سترا

فمضى ابن الرشيد يبغي مقرا

وعليه قد اصبح الترك وقرا   كيف يحمي جنودهم ويباري

* * *

ناوشوه القتال في الانسحاب

و(بوادي الرمة) على قيد قاب

قد دنا حينذاك وقت الحساب

حيث أضحت جنوده في اضطراب

لم تفده الاتراك بالأطواب

اذ تولوا فورًا على الأعقاب   ثم لاذ ابن متعب بالفرار

* * *

لما عزم ابن الرشيد على الرحيل ذلك اليوم لم يشعر الا وقد هاجمه السعوديون قبيل الفجر وقصدهم من ذلك منعه من الرحيل والقضاء عليه فاشتدت الحرب بينهم الى غروب الشمس وبرغم ذلك فقد انسحب ابن الرشيد من الشنانة وهم يناوشونه القتال ويطاردونه وكانت قبائله قد تقدمته في الرحيل فنصب خيامه يوهمهم انه مقيم فانخدعوا وعادوا عنه ليستريحوا فتأهب للرحيل وبلغ ابن سعود خبره فبادر بالهجوم عليهم واصطدم بمعسكر الأتراك فتجالد معهم اما ابن الرشيد فقد نزل الجوعي وهم بمهاجمة قصر ابن عقيل وفيه حامية لابن سعود وكانت الأمداد قد ارسلت اليها وفيها بعض آل مقرن فسبقوه الى القصر وشددوا عزائم الحامية فنصب ابن الرشيد مدافعه وشرع يضرب القصر ولما علم ابن سعود بذلك دعا قومه لمهاجمة ابن الرشيد وحمسهم حتى انه ترك ناقته ونعله ومشى معهم حافيا كأحدهم والمسافة بينهم لا تقل عن عشرين ميلا فلم يصلوا الا بعد منتصف الليل فتركهم يستريحون داخل القصر وبعد ان انفق ابن الرشيد كمية وافرة من القنابل على القصر بدون طائل عزم على الرحيل عنه فتركوه الى ان حمل اطوابه وعتاده ومشى بجنوده مع العساكر النظامية فصاحت الخيل بالاغارة وهجم السعوديون عليه من القصر فأدركوه في وادي الرمه (ينطقونه بفتح الميم وسكون الهاء) وهو أطول واد في جزيرة العرب يخترق القصيم فيمر بين حاضرتيه عنيزه وبريده وقرب البكيرية والخبرا والشنانة

* * *

ثم عادوا الى الغنائم حالا

غنماً ابهمونها وجمالا

وعتاداً قد أثقل الاحمالا

وصناديق ضمت الاموالا

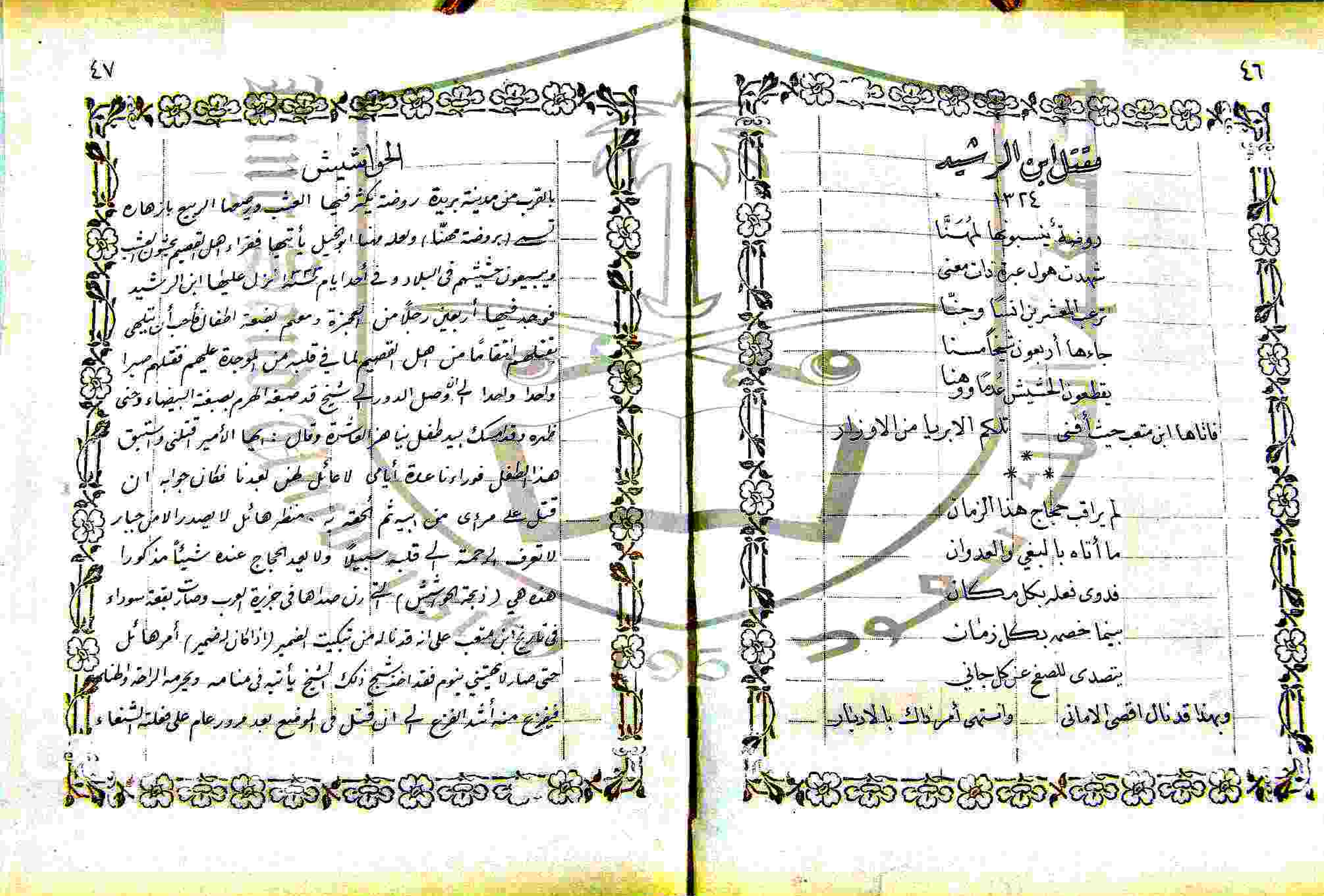
قسموها على السواء فنالا

كل فرد غنماً كبيرا ومالا

واكتفى ابن السعود بالانتصار

* *

وقعات على ضفاف . في ذلك الوادي في ١٨ رجب سنة ١٣٣٢
وقعت الملحمة الفاصلة طارد السعوديون خصمهم الى وادي الرمه هذا
وهناك نزل ابن الرشيد وبنى بيوت الحرب ليستبسل قومه عندها .
فثبتوا للسعوديين وكادوا يصدونهم لولا ان عبد العزيز صدمهم بهجمة
فهدم بيوت بيوت الحرب وفرت عساكر الترك من وجهه وعلى أثرها ابن الرشيد
واشتغل المنتصرون بالغنائم عن تتبع الهاربين الى ان خيم الدجى وظلوا بعدها
عشرة أيام وهم يجمعون الغنائم من الاسلحة والذخائر والامتعة والثياب والنقود سوى
الأنعام الكثيرة وقد فرقها ابن سعود كلها على رجاله بالسوية ولم يأخذ
لنفسه شيئاً البتة فأصاب الرجل الواحد منهم مائة وخمسون ليرة ذهبا
وبضعة عشر وبضعة بعيرا الى ما لا يقدر من الأثاث وغيره من
الأشياء الثمينة . وعادت في ارض القصيم (وقعة ذي قار)
ثانية والتاريخ يعيد نفسه فقد قضت هذه الوقعة على نفوذ الترك
كما قضت تلك على نفوذ الفرس اما جنود الترك فقد تفرقوا شذر مذر
ومات منهم كثيرون ونقل ابن السعود كثيرا منهم الى الحجاز والكويت وبقي بعضهم
في القصيم واشتهرت هذه الوقعة باسم البكيرية وان تكن وقائعها جرت في عدة مواضع



مقتل ابن الرشيد

١٣٢٤

روضة ينسبونها لمهنّا

شهدت هول عبرة ذات معنى

رتع العشرين انساً وجنّاً

جاءها أربعون شيخاً مسنّا

يقطعون الحشيش عدماً وهنا

فاتاها ابن متعب حيث أفنى — تلكم الابريا من الاوزار

* * *

لم يراقب حجاج هذا الزمان

ما أتاه بالبغي والعدوان

فدوى فعله بكل مكان

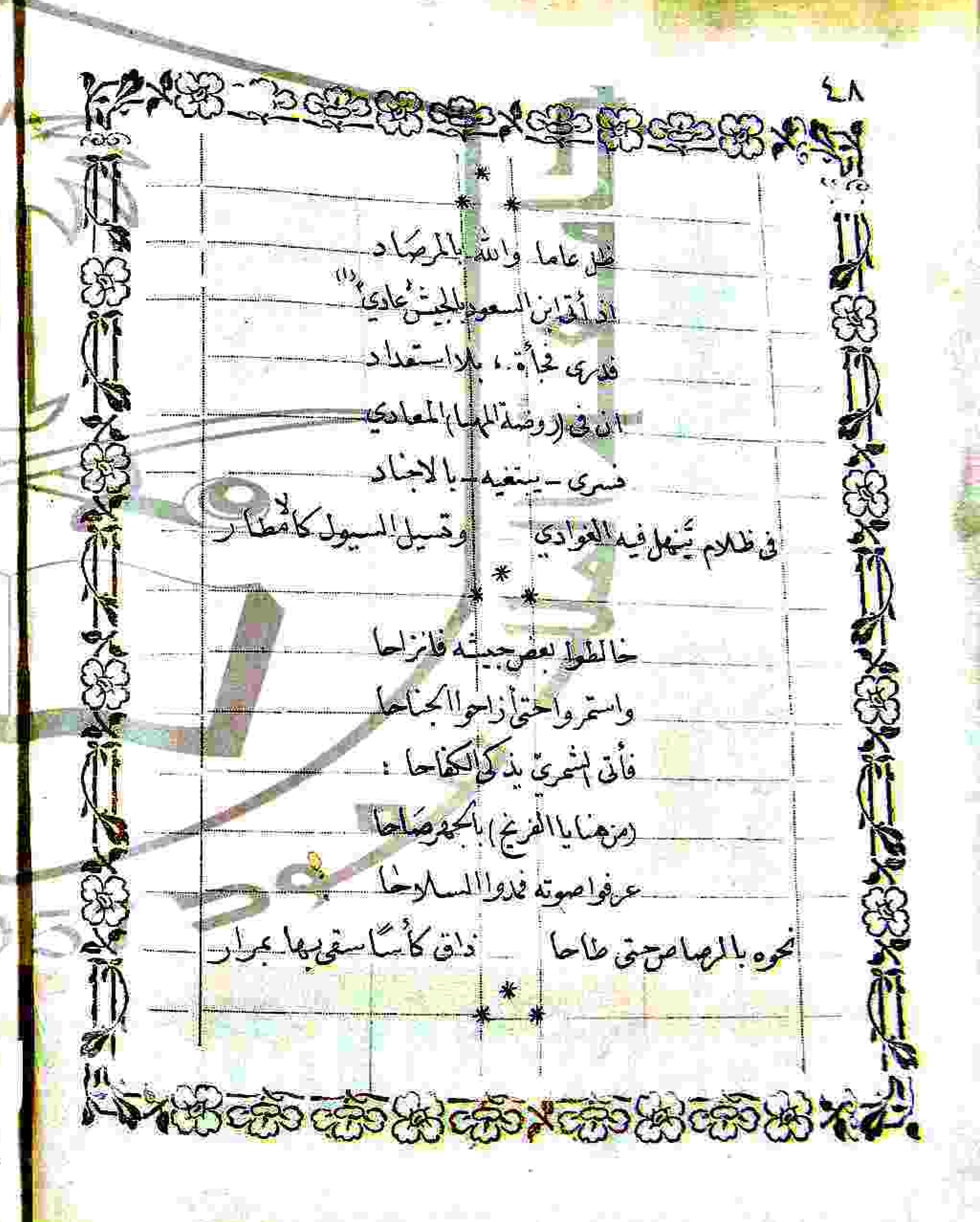
بينما خصمه بكل زمان

يتصدى للصفح عن كل جاني

وبهذا قد نال اقصى الاماني — وانتهى أمر ذاك بالادبار

الحواشيش

بالقرب من مدينة بريدة روضة يكثر فيها العشب ويحييها الربيع بازهاره تسمى (بروضة مهنّا) وبعد منها ابو نخيل يأتيها فقراء اهل القصيم يحشّون العشب ويبيعون حشيشهم في البلاد وفي أحد ايام سنة ١٣٢٤ نزل عليها ابن الرشيد فوجد فيها أربعين رجلاً من العجزة ومعهم بضعة اطفال فأحب أن يتلهى بقتلهم انتقاماً من اهل القصيم لما في قلبه من الموجدة عليهم فقتلهم صبراً واحداً واحداً الى ان وصل الدور الى شيخ قد صبغه الهرم بصبغة البيضاء وحنى ظهره وقد امسك بيد طفل بنيّاه العاشرة وقال: ايها الأمير اقتلني واستبق هذا الطفل فوراءنا عدة أيامى لا عائل لهن بعدنا فكان جوابه ان قتل على مرأى من ابيه ثم الحقه به. منظر هائل لا يصدر الا من جبار لا تعرف الرحمة الى قلبه سبيلاً ولا يعد الحجاج عنه شيئاً مذكورا هذه هي (ذبحة الحواشيش) التي رنّ صداها في جزيرة العرب وصارت بقعة سوداء في تاريخ ابن متعب على انه قد ناله من تبكيت الضمير (اذا كان له ضمير) أمر هائل حتى صار لا يهتني بنوم فقد اخذ شبح ذلك الشيخ يأتيه في منامه ويحرمه الراحة والطمأنينة فيفزع منه أشد الفزع الى ان قتل في الموضع بعد مرور عام على فعلته الشنعاء



* * *

ظل عاماً والله بالمرصاد

اذ أتى ابن السعود بالجيش عادي[1]

فدهى فجأة بلا استعداد

ان في (روضة المهنا) المعادي

فسرى يبتغيه بالاجناد

في ظلام تُهمل فيه الغوادي وتسيل السيول كالأمطار

* * *

خالطوا بعض جيشه فأزاحا

واستمروا حتى أزاحوا الجناحا

فأتى لشمري يذكي الكفاحا:

(من هنا يا الفريخ) بالجهر صاحا

عرفوا صوته فمدوا السلاحا

نحوه بالرصاص حتى طاحا ذاق كأساً سقى بها بمرار

* * *

(1) العادي في اصطلاح أهل نجد الهاجم.

انقضت سنة ١٣٢٣ بعد وقعة البكيرية والمناوشات مستمرة بين الخصمين هذا يغزو قبائل هذا وكان ابن سعود قد آنس خيانة من صالح الحسن أمير بريدة وتذبذباً في امور لطول شرحها وكان ابن رشيد يتنقل في اطراف القصيم ويجوس خلاله وفي شهر صفر سنة ١٣٢٤ بينما ابن سعود آتياً معه ألف وستمائة من قومه يطلب خصمه وقد بلغه انه على النوير في عقدة الزلفي فلم يدركه اذ كان قد رحل عنه فوالى المسير بالسرى الى أصيل ذلك اليوم فاضطر الى النزول أثر الأمطار والعواصف وهناك أتته عيونه فاخبرته ان ابن رشيد على روضة مهنا فبادر بالهجوم ليدركه قبل أن يرحل منها وكانت طلائع الشمري قد رأت طلائع ابن سعود ولم تنتصف ليلة ١٨ صفر الا وقد تخالط الجيشان وهجم السعوديون على جناح شمر فزحزحوهم وصاروا في مواضعهم فرأى ابن متعب الراية في ظلام الليل فاقبل نحوها وهو يظنها رايته وكان حاملها يدعى الفريخ فاقبل نحوها وهو يصيح من هنا يا الفريخ من هنا يا الفريخ فعرفوا صوته وصوبوا اليه البنادق وهناك سقط عن ظهر جواده صريعاً يتخبط بدمائه ولسان حاله يقول:

اشرب بكأس كنت تسقي بها أمر في الحلق من العلقم

وقد قطع رأسه وأرسل الى القصيم وانتهت حياته المملوءة بالدماء وآخرها دمه

المصاعب والمتاعب

١٣٢٤ — ١٣٣٠

نصرٌ هزّ ذكره الأرجاءَ
ولعبد العزيز أحيا الرجاءَ
أتراه تنفس الصعداءَ؟
ان يك ابن الرشيد بالقتل باءَ
فهو أيضا قد ولد الاعداء
فمحبّوه ناصبوه العداء   من قريب ومن صديق جار

(١)

قلب ابن الصباح ظهر المجن
وتمادى في دسه والتجني
يظهر الود تارة والتدني
ويجافي أعداءه ثم يدني
سالكا في خداعه كل فن
لم تزده أفعاله غير وهن   لانفضاح الشباك والأسرار

كان ابن الرشيد هو الخصم الألد لابن سعود وبقتله يخلو له الجو ويتم له الاستيلاء على نجد من اقصاها الى اقصاها وها قد قتل ذلك الخصم العنيد، افتراه تنفس الصعداء؟ الجواب لا! لئن قضى عبد العزيز على خصمه فان مقتله ولد له اعداء جددا حسبوا لتفرده في نجد الف حساب وقد كانوا الى ذلك الحد اكبر معوان له وهذا شأن السياسة في تقلباتها وتلونها فهي لا تفهم للعواطف معنى ولا تعرف الا المصلحة المجردة.

وأول من يهمه توازن قوتي حائل والرياض هو الشيخ مبارك الصباح الذي أعان ابن سعود على خصمه أولا ومد يد المصافحة الى ابن رشيد بعد ذلك حتى تتعادل كفتا الميزان وحث صالح الحسن أمير بريدة على مؤازرة ابن رشيد ضد ابن سعود ولكن كاتب مبارك وكاتم سره غلط غلطة كبرى قضت على تلك الخطة التي أحكم نسجها ذلك الداهية الكبير فقد جعل كتاب هذا في ظرف هذا بينما هو يغري بينهما فاطلع الولد على نوايا أبيه الذي اعتذر باعذار لم تخفف شيئا وان تظاهر ابن سعود بقبولها.

(٢)

وبدا في القصيم (آل المهنا)

قد أسرّوا لآل مقرن ضغنا

جعلوا دارهم بريدة حصنا

طالما هم خانوه معنى ومبنى

فعفا عنهم حنانًا ومنًّا

ثم عادوا غدرًا وبالعفو ثنى (١) فبغوا تلك خلة الأشرار

*
* *

(٣)

وهنا جاء (سامي الفاروقي)

ليضم القصيم تحت (فروق)

ساعيًا في البلاد بالتفريق

فغدا من أموره في ضيق

ورأى في الرجوع خير طريق (٢)

حماوه وجنده كعتيق وهو قد جاء حاميًا للديار

(١) آل مهنا من عنزة وهم أمراء بريدة انتزعوا الأمارة من أصحابها آل عليان مؤسسي بريدة وأصحاب الحق الشرعي فيها وقد دارت المنازعات بينهم إلى أن قتل مهنا أبو الخيل في أيام عبدالله الفيصل وقد آنس أولاده من الأمام ميلًا إلى خصومهم لأعتقاده أنهم أصحاب الحق في امارة بريدة فحقدوا عليه وبقي هذا الحقد كامنًا فيهم لآل سعود حتى ظهر في شخص صالح الحسن ومحمد أبي الخيل فقد لعبا دورًا مهمًا في حالة القصيم فكاتبا ابن الرشيد والأتراك وعاهدا ونقضا وتعددت منهما الخيانات والثورات في أمور يطول شرحها فقضوا على امارتهم بأيديهم بعكس آل سليم أمراء عنيزة الذين أقاموا على الوفاء والاخلاص فهم لا يزالون أمراء في بلادهم حاكمين.

(٢) أرادت الدولة العلية أن تسترد عظمتها بعد وقعة البكيرية بصلح شريف فأرسلت حملة طويلة بقيادة فيضي باشا وبعده صدقي باشا وطلبت خضوع القصيم لها وجعله منطقة حياد بين الأميرين ولما لم يقبل أهل نجد بذلك بقيت الجنود مرابطة في الشيحية وعادت الحرب بين الأميرين إلى أن قتل ابن متعب واستبدلت الحكومة صدقي بسامي باشا الفاروقي الذي جاء متهددًا مرعدًا مزبدًا وبعد عدة مفاوضات ومناورات انتهت باخطار من عبدالعزيز، قبل سامي بالرجوع إلى المدينة على أن يرحلهم عبدالعزيز اليها وفعلًا رحلهم وأصحبهم بعبدالرحمن بن عبدالله آل سويلم أمير القطيف الآن وبعد ذلك جاءت الأرادة السنية بالشكر والألقاب.

(٤)

ثم شب «الحريق» بالنيران

اذ دورت فيه فتنة (الهزاني)

لامور في نفسه وأماني

وتلاه آل السعود الأداني

فمضوا لاجئين «بالعجمان»

بعد عفو أتاهم وأمان — هكذا فالحليم بالاقتدار

* * *

(٥)

ثم جاء الشريف يقصد نجدا

جامعاً حوله البوادي جندا

ما لمأ كتبه وعيداً ووعدا

فلقد جنه هنالك (سعدا)

أسروه غدراً وقد كان فردا

ثم أرضاه حين أعطاه عهدا — ظل عند الاتراك كالتذكار

(١) الحريق بلدة واقعة على وادي الفرع في مضيق بين جبلين واصلها وأهل الحوطة من قبيلة بني تميم ويحكم الحريق آل الهزان من عنزة وفي ١٣٢٥ جرت بينهم فتنة قتل فيها بعضهم ولم يخضعوا الحكم الشريعة فأمرهم عبد العزيز أن يسلموا وقد طلقهم بشفاعة قاسم بن ثاني أمير قطر. اما اولاد سعود بن فيصل فقد نزعة الاستئثار بالملك من جدهم سعود فبعد ان خلصهم عبد العزيز من ابن رشيد اخذوا يحاولون تنفيذ ما يجول في نفوسهم فأتوا الخرج ليستقلوا به فأخرجوا منه ثم لجأوا الى الحريق وفي نفوس الهزازنة ما فيها فاتحدت المآرب وانضمت اليهم الحوطة فهاجمهم عبد العزيز واخضع الحريق والحوطة وقتل بعض الهزازنة وعفا عن آل سعود وبعضهم لجأ الى العجمان ولكن الشيخ مبارك توسط في الصلح بينهم فاخلدوا الى السكينة بعد أن تعددت منهم الفعال وتعدد منه الصفح والعفو خشية على الرحم ان تنقطع وخوفاً على تاريخ آل سعود الابيض ان يتلوث بما تلوث به تاريخ بيت الرشيد وغيرهم.

(٢) في سنة ١٣٢٨ خرج الشريف حسين من الحجاز بجيوش جرارة الى نجد وانضمت اليه قبيلة عتيبة وغيرها من بدو الحجاز واتفق أن عبد العزيز ارسل أخاه سعداً الى عتيبة ليستنفرها دعوضاً من ان تنجده غدرت به فسلمته للشريف حسين الذي جعل حريته بيد ذلك ابن سعود ويطلب منه الرضوخ لمطالب الاتحاديين الذين جهزوه للغرض نفسه وهي الاعتراف بتبعية الدولة وأن يدفع لها ستة آلاف مجيدي سنويا وكانت الظروف سيئة من كل جهة اضطرت عبد العزيز ان ينهي المسألة بتوسط خالد بن لؤي فوقع المعاهدة ليفتك أخاه ويتفرغ لشؤونه الداخلية وما كانت تلك المعاهدة الا حبرا على ورق بقي في السجلات دكاراً في سلسلة المهملات.

فتىً لو اصابت الطود ما لا
زلزلته فى حكمه زلزالا
ظل فيهن ثابتاً ما زالا
وضع السيف للعلى والنوالا
فاذاق المشاغبين نكالا
لا يهابون كثرة الاخطار (يخلق الله للحروب رجالا)

التُركُ والعرب

***

زال فى الترك حكم الاستبداد
واقاموا دستورهم (برشاد)
وتولت تدبير أمر العباد
فئة لم تكن بذات سداد
من دواهي (جمعية الاتحاد)
أوقعت ملكهم بأيدى الاعادى وبنته على شفير هار

فى سنة ١٣٢٦ حدث الانقلاب العثماني وخلع السلطان عبد الحميد الثاني وتولى السلطان محمد رشاد الخامس مقيداً بالدستور واضحت السلطة المطلقة بيد رؤساء جمعية الاتحاد وفى مقدمتهم أنور وجمال وطلعت:

كان عبد الحميد بالامس فرداً فغدا اليوم الف عبد الحميد

وعوضاً عن ان يلتفتوا الى موضع الداء ومواطن الاختلال وينفذوا برنامجهم الذي ملئوا الدنيا به ضجيجاً (حرية، عدالة، مساواة) عمدوا الى تنفير العناصر العثمانية وتوسيع شقة الخلاف بين الشعوب المحكومة والحكومة فوجهوا كل اعتنائهم الى بث الدعوة الطورانية وتتريك العناصر العثمانية فنفرت منهم القلوب وانتشرت فكرة الاستقلال والانفصال في سائر الامبراطورية العثمانية وفى مقدمتهم الأمة العربية فاخذ الاتحاديون ينظرون الى العرب نظرة الغضب والحقد والبغضاء ويوجهون قواهم ودسائسهم لخضد شوكة كل من يرون فيه قوة ويخشون ان تلتم عليه الأمة العربية وأول من خصوه بقسم وافر من دسائسهم هو عبد العزيز ابن سعود ليقضى تماماً كان متعولا

* * *

أنشئوا دعوة الى تورانا

وتغنوا بفتح (جنكيز خانا)

وأرادوا الاكراد والعربانا

وسولهم أن يذعنوا اذعانا

بذروا من فعالهم أضغانا

أججت من جنونهم بركانا   في جميع الشعوب والاقطار

* * *

دعوة قربتهم للتلاف

قابلتها الشعوب باستخفاف

ثم لما حمي وطيس الخلاف

قام حزب يدعو الى الائتلاف

ويراعي الاقوام بالانصاف

ويحب استقلالهم باعتراف   تحت ظل الهلال حكم اداري

* * *

* * *

قاوم الاتحاد قولا وفعلا

ذلك الحزب ثم أفناه قتلا

وبنو يعرب الاباة الاجلا

هم أشد الشعوب عزما وحولا

لن يقيموا أكلا على الضيم كلا

قرروا الوحدة العزيزة حلا

ولها فكرة سرت بانتشار

* * *

المخاطرة الثانية

فتح الأحساء

١٣٣١

هو ذا ابن السعود للعرب رمز

وزعيم الى العلى مستفز

فاذا عز فهو للعرب عز

فاستشاطوا غيظاً عليه وهزوا

كل أعدائه تغير وتغزو

حركات فيهن همز ولمز — حركت منه كامن الاوتار

اكتفى قائماً بنجدٍ كفافا

فرأى من جمال باشا اعتسافا

فاذاق الاذناب سماً ذعافا

اذ دهى ابن الرشيد والأشرافا

ثم أم الاحساء والاسيافا

وأتى بالطبى يحل الخلافا — وهي حد لكل خلف باري

كان سلاطين آل عثمان وآخرهم عبد الحميد يرون في آل سعود أكبر خطر على الخلافة الاسلامية ويحسبون لقوتهم أكبر حساب فكانت حروب الدرعية وما تلاها من حروب الى ان كانت المحاولة الأخيرة في وقعة البكيرية ورجوع سامي من الشحية. ولما ملك الاتحاديون مقاليد الحكم وقاموا بالدعوة الطورانية المبنية على تتريك العناصر لم يرق في نظرهم بقاء ابن سعود مسيطراً على نجد كلها بلا منازع وكانوا قد نفضوا ايديهم من آل الرشيد فعمدوا الى الشريف حسين وسعدون وغيرهم يدسون له ويتوعدونه ناهيك بما تقوم به متصرفية الأحساء من اغراء البدو بين آن وآن وفي الأخير أرسل مندوبه الى بغداد يطلب من واليها جمال باشا السفاح فلم يسمعوه الا عبارات التهديد والوعيد كل هذه الأمور أوغرت قلب ابن سعود عليهم فأحب أن يقضي على آخر سلطة لهم في جزيرة العرب وهي الأحساء والقطيف وان يحكم السيف فهو الحكم الفيصل فصمم على أخذ الأحساء واستعادة تراثه القديم ولكن هناك عدواً آخر أقوى شكيمة من العسكر هم العجمان الذين لهم مصالح في الأحساء من سيطرة وغيرها ولا يهون عليهم ذهابها من يد الأتراك فضرب لهم موعداً في الشمال ليغزو مطيراً اضدادهم وبذلك أبعدهم من اطراف الأحساء وأتى بجنوده الحضر من أهل العارض وكان أهل الأحساء قد سئموا حكم الأتراك لاضطراب حبل الأمن واختلاله وسيادة الفوضى والبدو حتى ان ظل الرجل لا ينام في فراشه الا وهو متوسد بندقيته المحشوة اتقاء للطوارىء

* * *

فأتى في جيوشه الى الأمام

ساترًا ما يريد بالايهام

جاعلاً قصده امتيار الطعام

فأناخوا بالعين تحت الظلام

ثم جاؤوا مشيًا على الأقدام

صعدوا للمحافظين النيام   وهم بعد سكرهم في خمار

* * *

ليلة الخمس من جمادى الأولى

أكمل الجيش في البلاد الدخولا

رافعين التكبير والتهليلا

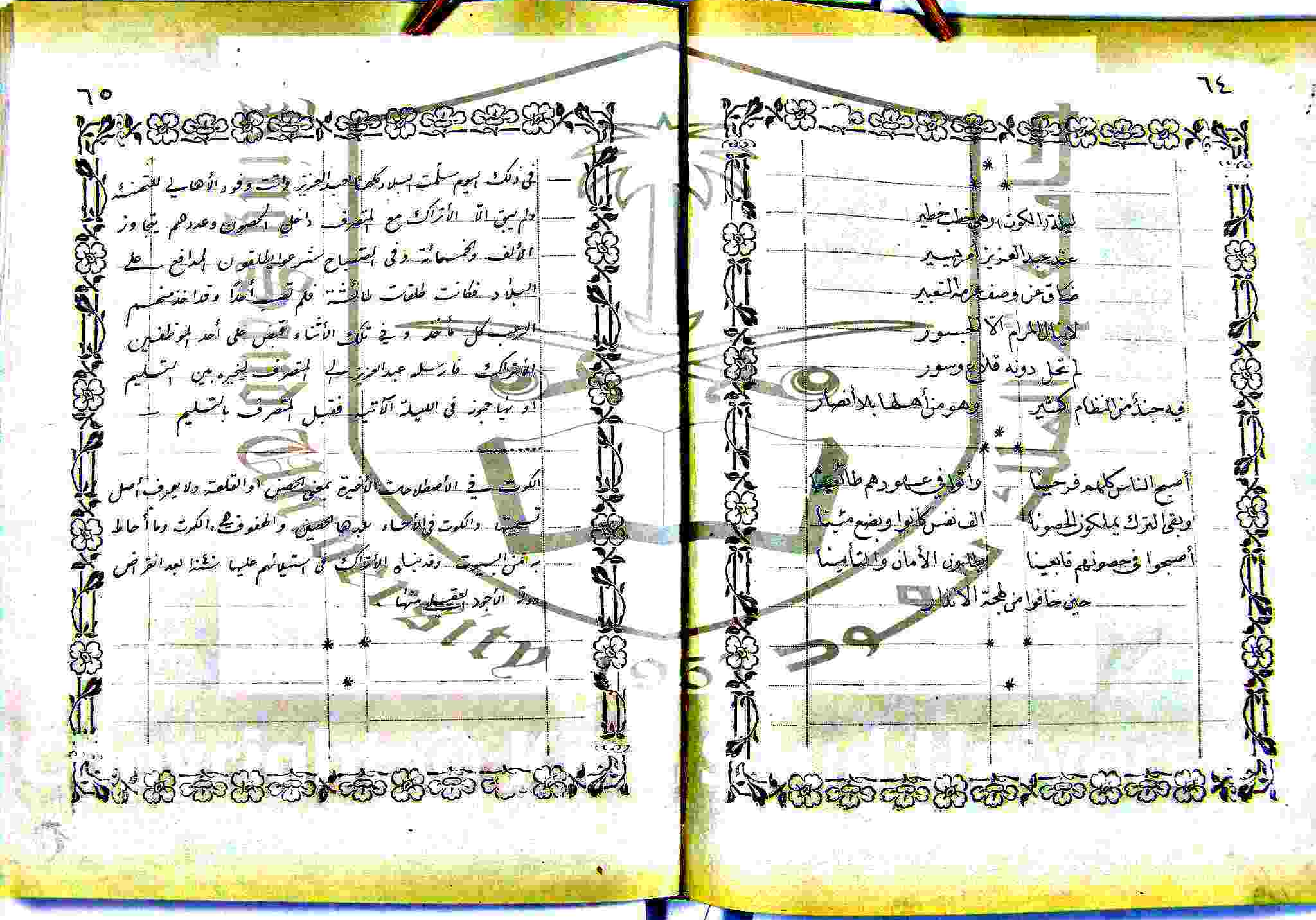
حيث فر الأتراك منهم ذهولا

ليس يدرون للنجاة سبيلا

ثم نادى في السور عرضا وطولا   ان عبد العزيز رب الدار

* * *

في شهر ربيع الأول سنة ١٣٣١ غادر عبد العزيز الرياض بجيوشه ونزل على الخفس واغار على بني مرة وقد استراب الأتراك منه فأرسلوا يستفهمون عن نيته فأجاب انه لا ينوي الّا امتيار الطعام وفعلاً موه جيشه واوهمهم انه يريد العودة الى الرياض وضرب موعدًا للعجمان في الشمال وقصد ابعادهم واتى يجد السير الى ان نزل على عين [illegible] بقرب الأحساء ومشى ومعه ستمائة من الحضر على اقدامهم تحت استار الظلام في ليلة ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٣١ ومعهم الجذوع والحبال الى ان أتوا الى السور من الجهة الغربية فتسلقه منهم عشرة رجال والقوا الحبال الى اصحابهم فتسلقوه وكان الحراس بعد ان انتبهوا ينادونهم ولا يجيبهم أحد فحدثت ضجة ارتجت لها البلاد وتراكض الاتراك الى القصور المحصنة داخل الكوت والمبرز وارتبك الأهالي لا يدرون من هو الهاجم وبعد ان استولى عبد العزيز على البلد أمر مناديا ينادي ان الحكم لله ثم لعبد العزيز بن عبد الرحمن عندها تهللت وجوه الناس واقبلوا اليه زرافات ووحدانا يهنئونه ويبايعونه على السمع والطاعة أما المتصرف ومن معه فقد لجئوا الى قصر ابراهيم داخل الكوت وهو قصر حصين محكم مملوء بالزاد والذخيرة .



*

* *

ليلة الكوت وهي خطب خطير
عند عبد العزيز أمر يسير
ضاق عن وصفه التعبير
لا ينال المرام الا الجسور
لم تحل دونه قلاع وسور
فيه جند من النظام كثير ... وهو من أهلها بلا أنصار

* *

أصبح الناس كلهم فرحينا ... وأتوا في عهودهم طائعينا
وبقي الترك يملكون الحصونا ... ألف نفس كانوا وبضع مئينا
أصبحوا في حصونهم قابعينا ... يطلبون الأمان والتأمينا
حين خافوا من لهجة الانذار

* *

*

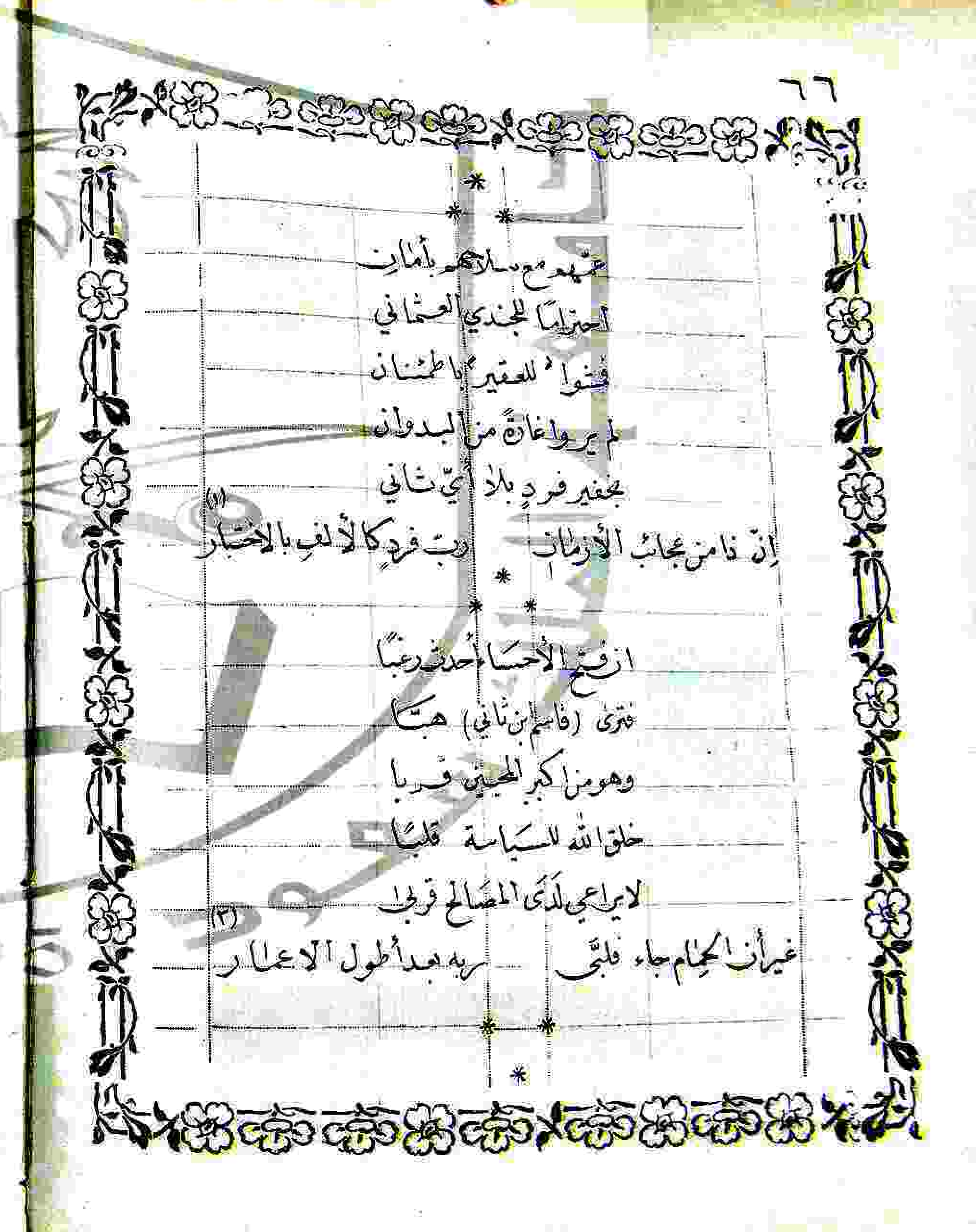
في ذلك اليوم سلمت البلاد كلها لعبد العزيز وأتت وفود الأهالي للتهنئة ولم يبق الا الأتراك مع المتصرف داخل الحصون وعددهم يتجاوز الألف والخمسمائة. وفي الصباح شرعوا يطلقون المدافع على البلاد فكانت طلقات طائشة فلم تصب أحدًا وقد أخذ منهم الرعب كل مأخذ وفي تلك الأثناء قبض على أحد الموظفين الأتراك فأرسله عبد العزيز إلى المتصرف ليخيره بين التسليم أو بما يجوز في الليلة الآتية فقبل المتصرف بالتسليم.

....

الكوت في الاصطلاحات الأخيرة بمعنى الحصن او القلعة ولا يعرف أصل تسميتها والكوت في الأحساء يشبه الحصين والطفوف. الكوت وما أحاط به من البيوت وقد بناه الأتراك في استيلائهم عليها سنة [illegible] بعد انقراض دولة الأجود لعقيل منها

* *

*



* * *

عمّهم مع سلاحهم بأمانِ

احتراماً للجندي العثماني

فمشوا للعقير باطمئنانِ

لم يروا غارةً من البدوانِ

بخفيرٍ فردٍ بلا أيّ ثاني

إنّ ذا من عجائب الأزمانِ — ربّ فردٍ كالألفِ بالأخبار (١)

* * *

ان فتح الأحساء أحدث رعباً

فترى (قاسم بن ثاني) هبّا

وهو من أكبر المحبين قربا

خلق الله للسياسة قلبا

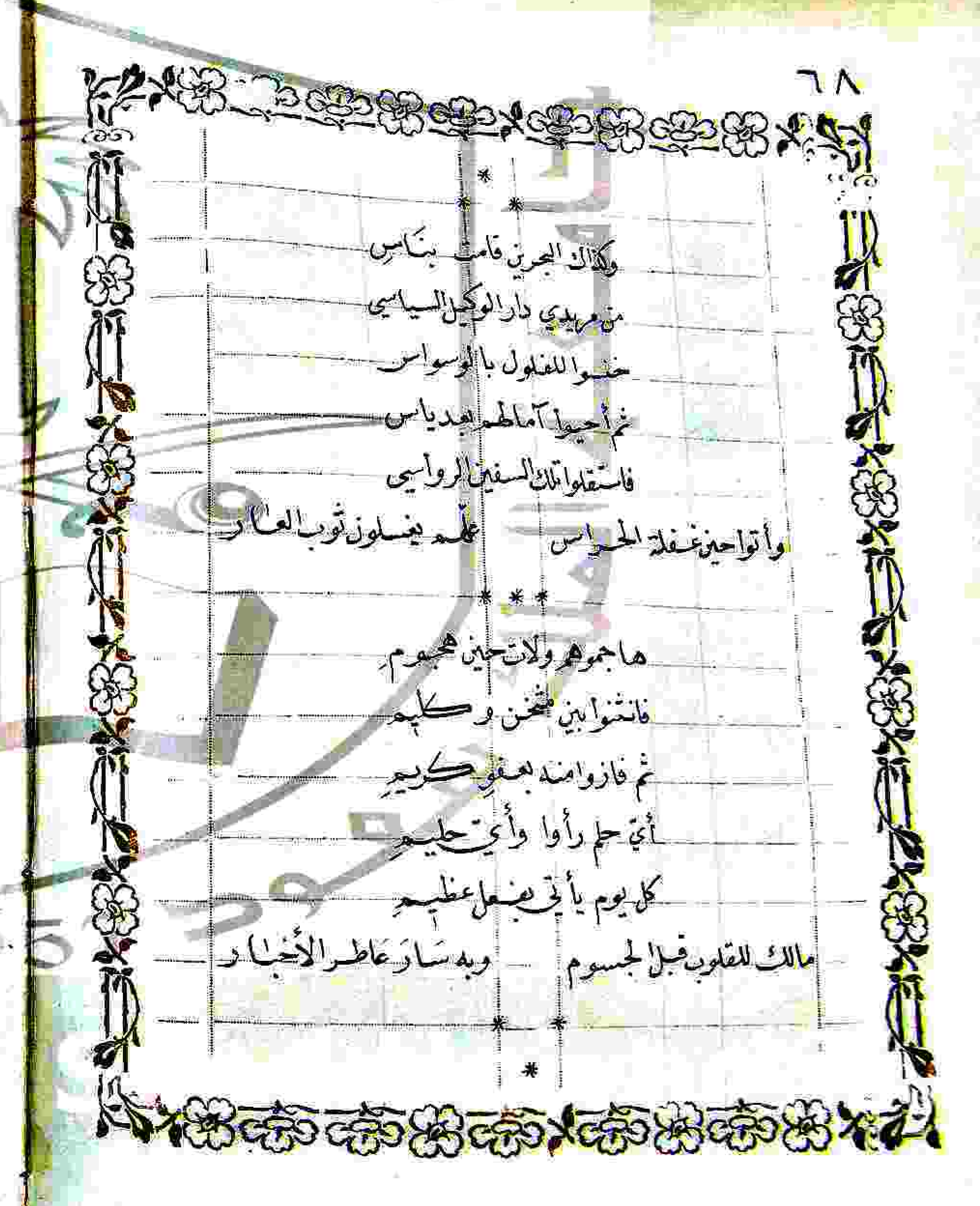
لا يراعي لدى المصالح قربا

غير أن الحِمام جاء فلبّى — ربه بعد أطول الأعمار (٢)

* * *

(١) قبل المتصرف بالتسليم فأعطاهم الأمان وأذن لهم أن يستصحبوا كل ما معهم من الأثاث والأمتعة ولم ينزع سلاح الجنود وقد قال للمتصرف إننا نحترم الجندي العثماني فلا ننزع سلاحه منه وقد خرجوا بقافلة كبيرة ولم يخفرهم سوى رجل واحد من رجال عبد العزيز وهو أحمد الشنيان رسولجي جمالات فلم يعارضهم أحد في الطريق بعد أن كانت أمثال هذه القوافل في زمن الأتراك أمنية من أماني البدو الذين يتديّنون على منهوبات القوافل فيشنون عليها الغارات إلى أن وصلوا العقير بسلام فجهزهم بالسفن إلى البحرين ليسافروا منها إلى العراق

(٢) كان الشيخ قاسم بن ثاني أمير قطر من أعز أصدقاء عبد العزيز وأحبهم إليه تربطهم رابطة العقيدة السلفية وحسن الجوار وفي سنة ١٣٣٣ استنجد قاسم بعبد العزيز على أخيه أحمد بن ثاني وبني مرة فقد عصوا عليه وكادوا يخرجونه من قطر فبادر إليه في وقت كان القصيم يغلي فيه بمراجل التقلبات فضرب الثائرين ضربة أعادت للشيخ قاسم كامل نفوذه وسلطته والمودة نفسها قبل شفاعته في [illegible] وآل بسام بعد أن رفض توسطات أقرب الناس إليه ولكن أشياء التي قلبت قلب مبارك زرعت الخوف والريبة في قلب ابن ثاني فغضب غضبة شعواء وأرسل كتب الاحتجاج الحادة اللهجة إلى عبد العزيز يلومه على أخذ الأحقاد ولكن الحمام عاجله قبل أن يتلقى الجواب فقد انتقل إلى جوار ربه بعد أن أناف على المائة من عمره وهو من أمراء العرب العصاميين المشهورين رحمه الله



*
* *

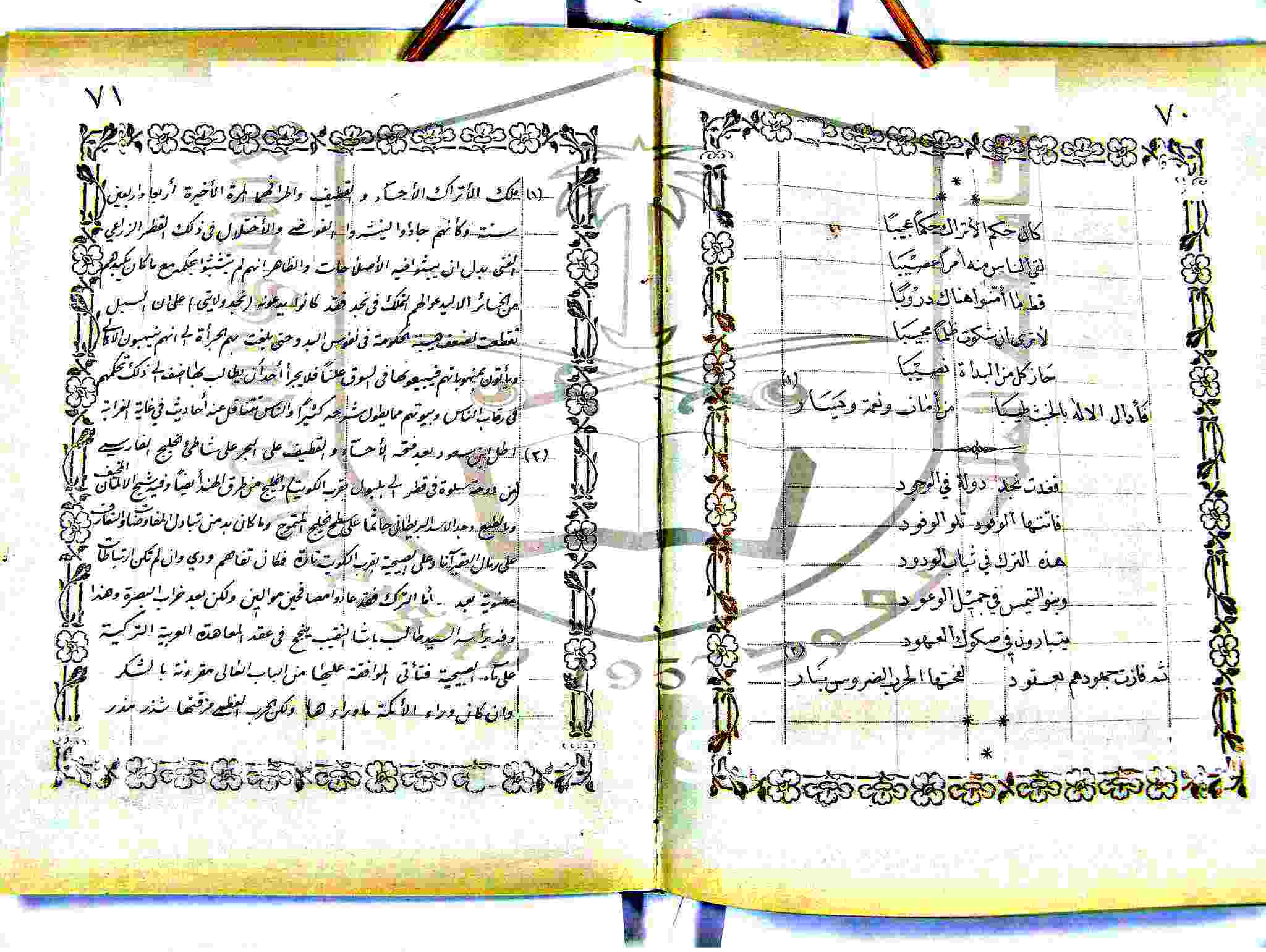
وكذاك البحرين قامت بناسٍ
من مريدي دار الوكيل السياسي
خشوا للفلول بالوسواس
ثم أحيوا آمالهم بعد ياس
فاستقلوا تلك السفين الرواسي
وأتوا حين غفلة الحراس — علّهم يغسلون ثوب العار

* * *

هاجموهم ولات حين هجومِ
فانثنوا بين مثخنٍ وكليمِ
ثم فازوا منه بعفوٍ كريمِ
أيّ حلمٍ رأوا وأيّ حليمِ
كل يوم يأتي بفعل عظيمِ
مالك للقلوب قبل الجسوم — وبه سار عاطر الأخبار

* *
*

لم يكن ابن ثاني وحيداً في تخوفه من استيلاء ابن سعود على الأحساء المجاورة لبلاده فهناك أيضاً امراء البحرين من آل خليفة ومعهم وكيل دولة بريطاني السياسي في البحرين لم يرق لهم أيضاً ان يكون ابن سعود على مقربة من جزيرتهم التي خضعت سابقاً لأجداده مثل قطر وهي أقرب الى الأحساء من قطر فلما وصلت العساكر الى البحرين في طريقها الى العراق جاءهم أحد المقربين من دار الوكالة والمتصلين بالحكومة أيضاً فزين للتعرف الرجوع الى العقير والاستيلاء على القصر ولامه على التسليم بدون مقاومة تذكر وكانت في البحرين إذ ذاك باخرة لآل بسام فأخذوها ومعها سفن أخرى فأتوا بها الى العقير على حين غفلة من حامية القصر فهاجموا أحد المراكز الصغرى فاحتلوه ولكن الحامية قابلتهم بالمثل فاستعادته منهم وكسرتهم بعد ان قتلت منهم ثلاثين رجلاً وبلغ الخبر عبد العزيز فجاء مسرعاً فوصل بعد منتصف الليل فوجد الحامية قد قامت بواجبها خير قيام وقد قابل الأتراك بالحلم والصفح جرياً على عادته فجهزهم ثانية وأعادهم من حيث أتوا . وكان قد ارسل سرية بقيادة الأمير عبد الرحمن بن عبد الله السويلم فاستولت على القطيف واخرجت من فيه من الأتراك وكان احتلال الأحساء والقطيف خير جواب لتهديدات جمال باشا

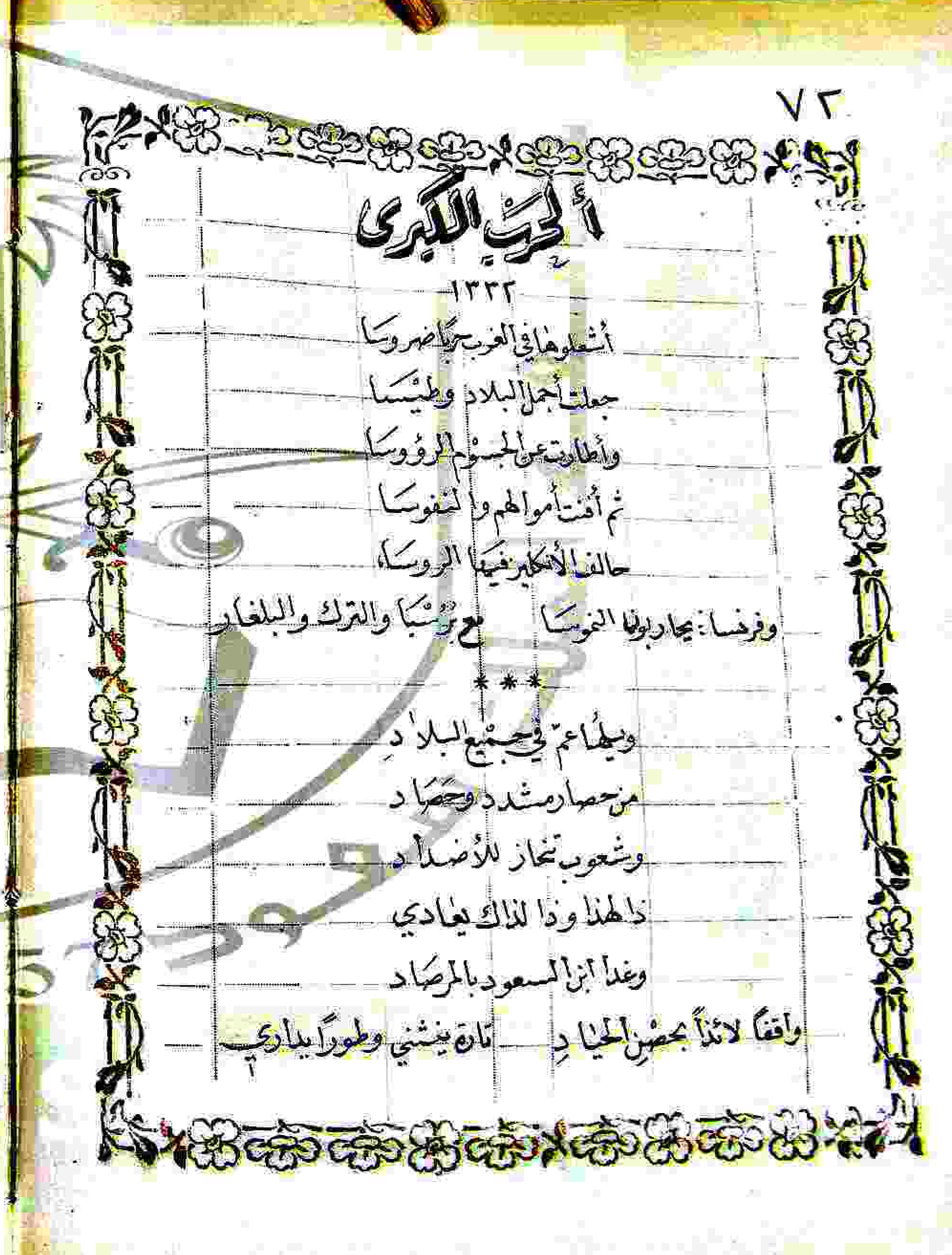


كان حكم الأتراك حكماً عجيباً
لقي الناس منه أمراً عصيباً
قط ما أسمعوا هناك دروبا
لا ترى ان شكوت ظلماً مجيبا
حاز كل من البداة نصيبا
فأدال الإله بالخبث طيبا ... من أمان ونعمة ويسار (١)

فغدت نجد دولة في الوجود
فأتتها الوفود تلو الوفود
هذه الترك في ثياب الودود
وبنو التيمس في جميل الوعود
يتبارون في صكوك العهود
ثم فازت جهودهم بعقود ... لفحتها الحرب الضروس بنار (٢)

(١) ملك الأتراك الأحساء والقطيف وأطرافهما المرة الأخيرة أربعاً وأربعين سنة وكأنهم جاؤوا لينشروا الفوضى والاختلال في ذلك القطر الزراعي الغني بدل أن يبثوا فيه الإصلاحات والظاهر أنهم لم يثبتوا حكمهم مع ما كان يكبدهم من الخسائر إلا ليدعوا ملكهم في نجد فقد كانوا يدعونه (نجد ولايتي) على أن السبل تقطعت لضعف هيبة الحكومة في نفوس البدو حتى بلغت بهم الجرأة إلى أنهم ينهبون الأكل ويأتون بمنهوباتهم فيبيعونها في السوق علناً فلا يجرأ أحد أن يطالب بها أضف إلى ذلك تحكمهم في رقاب الناس وبيوتهم مما يطول شرحه كثيراً والناس تتناقل عنه أحاديث في غاية الغرابة

(٢) أطل ابن سعود بعد فتحه الأحساء والقطيف على البحر على شاطئ الخليج الفارسي ابن دوحة سلوة في قطر إلى بلبول بقرب الكويت والخليج من طرق الهند أيضاً وفيه شبح الألمان المخيف وبالطبع وجد الأسد البريطاني جاثماً على سطح الخليج المتموج وما كان بد من تبادل المفاوضات والتعارف على رمال العقير آناً وعلى الصبيحة بقرب الكويت آناً فكان تفاهم ودي وإن لم تكن ارتباطات معنوية بعد. أما الترك فقد عادوا مصافحين موالين ولكن بعد خراب البصرة وهذا وفد يرأسه السيد طالب باشا النقيب ينجح في عقد المعاهدة العربية التركية على ماء الصبيحة فتأتي الموافقة عليها من الباب العالي مقرونة بالشكر وإن كان وراء الأكمة ما وراءها ولكن الحرب العظمى فرقتها شذر مذر



الحرب الكبرى

١٣٣٢

أشعلوها في الغرب حرباً ضروسا

جعلت أجمل البلاد وطيسا

وأطارت عن الجسوم الرؤوسا

ثم أفنت أموالهم والنفوسا

حالف الإنكليز فيها الروسا

وفرنسا: يحاربون النمسا   مع بروسيا والترك والبلغار

* * *

وبلاء عم في جميع البلاد

من حصار مشدد وحصاد

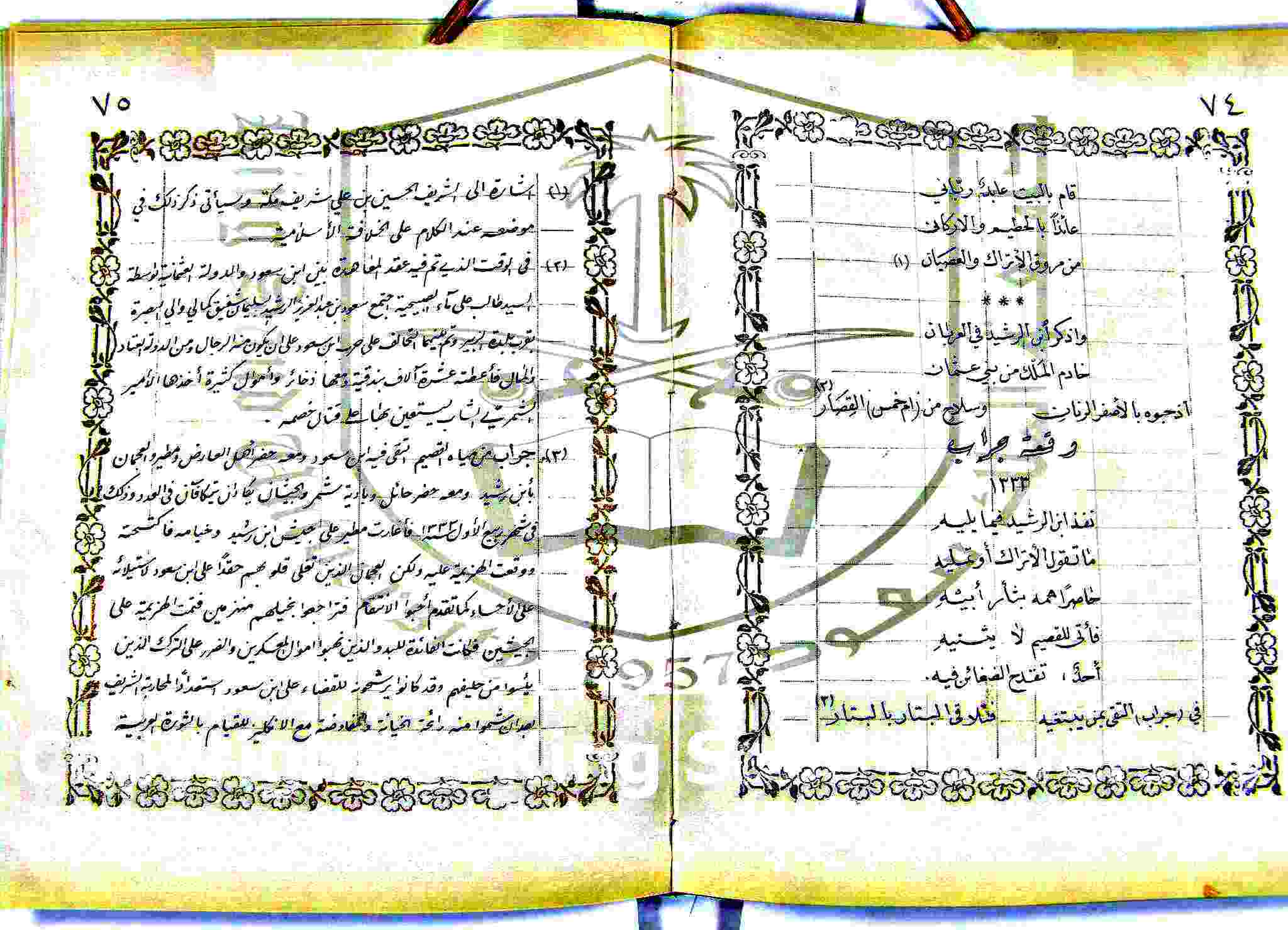
وشعوب تنحاز للأضداد

ذا لهذا وذا لذاك يعادي

وغدا ابن السعود بالمرصاد

واقفاً لائذاً بحصن الحياد   تارة يمشي وطوراً يداري

في سنة ١٣٣٢ رمى الشاب البوسنوي قنبلة في سراجيفو فكانت الشرارة التي أشعلت الحرب العظمى. بسرت تلك الشرارة إلى هشيم المطامع والتزاحم فتأجج ناراً امتد لهيبها إلى كافة أنحاء العالم. وهناك على حدود نجد تصادم النسر الألماني في أوراد الترك بالأسد البريطاني على شواطئ دجلة والفرات، وفي سوريا ومصر والحجاز. وأصبح شبح الحرب على قاب قوسين من الجزيرة العربية. فكتب ابن سعود إلى الشريف الحسين بن علي وإلى الشيخ مبارك الصباح وإلى سعود بن عبد العزيز الرشيد يقترح عليهم أن يعقدوا اجتماعاً يتداولون فيه عما يجب أن يفعلوه في تلك الظروف وأن يكونوا يداً واحدة في الدفاع عن حقوق العرب إذا حصل عليها اعتداء من أحد المتحاربين وأن يقرروا الخطة التي يمشون عليها في مسايرة الدول المتحاربة. فأرسل الشريف ابنه عبد الله فعاد كما أتى وابن رشيد على انضمامه إلى الأتراك. وفي ذلك الوقت أتاه السيد طالب مندوباً من قبل الترك وجاءه وفد آخر من الحجاز برئاسة الألوسي ومعه هدايا بله رسل الإنكليز أيضاً ولكنه آثر الحياد والوقوف موقف المتفرج ولم يشغل باله إلا ابن الرشيد المعزز من الدولة بالمال والعتاد



قام بالبيت عابدٌ ربّاني

عائذاً بالحطيم والأركان

من مروق الأتراك والعصيان (١)

* * *

واذكر ابن الرشيد في العربان

خادم الملك من بني عثمان

أدجوه بالأصفر الرنان وسلاح من (أم خمس) القصار (٢)

وقعة جراب

١٣٣٣

نفذ ابن الرشيد فيما يليه

ما تقول الأتراك أو تمليه

خاصراً همه بثأر أبيه

فأتى للقصيم لا يثنيه

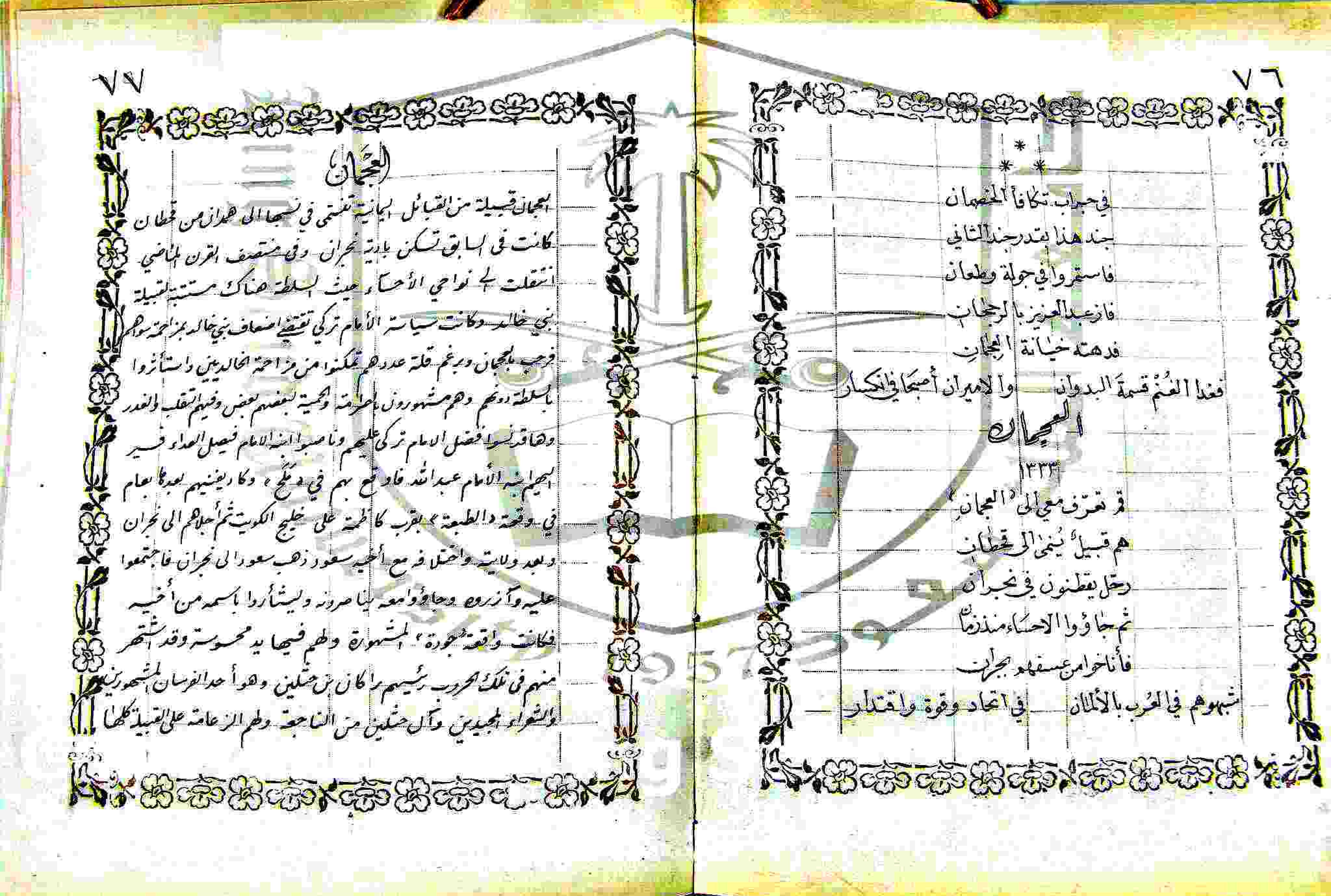
أحدٌ، تقدح الضغائن فيه.

في (جراب) التقى بمن يبتغيه فتلاقى البتار بالبتار (٣)

(١) إشارة الى الشريف الحسين بن علي شريف مكة وسيأتي ذكر ذلك في موضعه عند الكلام على الخلافة الاسلامية

(٢) في الوقت الذي تم فيه عقد المعاهدة بين ابن سعود والدولة العثمانية بوسطة السيد طالب على ماء الصبيحية اجتمع سعود بن عبد العزيز الرشيد بسليمان شفيق كمالي والي البصرة بقرب بلدة الزبير وتم فيما التحالف على حرب ابن سعود على ان يكون منه الرجال ومن الدولة العتاد والمال فأعطته عشرة آلاف بندقية ومعها ذخائر وأموال كثيرة أخذها الأمير الشمري إلى حائل يستعين بها على قتال خصمه .

(٣) جراب من مياه القصيم التقى فيه ابن سعود ومعه حضر أهل العارض ومطير والعجمان بابن رشيد ومعه حضر حائل وبادية شمر والجيشان يكادان يتكافآن في العدد وذلك في شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٣ فأغارت مطير على جيش ابن رشيد وخيامه فاكتسحته ووقعت الهزيمة عليه ولكن العجمان الذين تغلي قلوبهم حقداً على ابن سعود لاستيلائه على الأحساء كما تقدم أحبوا الانتقام فتراجعوا بخيلهم منهزمين فتمت الهزيمة على الجيشين فكانت الغانمة للبدو الذين نهبوا اموال العسكرين والضرر على الترك الذين يئسوا من حليفهم وقد كانوا يرشحونه للقضاء على ابن سعود استعداداً لمحاربة الشريف بعد ان شموا منه رائحة الخيانة والمفاوضة مع الانكليز للقيام بالثورة العربية



* * *

في حراب تكافا الخصمان

جند هذا يقدر جند الثاني

فاستمروا في جولة وطعان

فاز عبد العزيز بالرجحان

فدهته خيانة العجمان

فغدا الغنمْ قسمةَ البدوان ... والاميران أصبحا في انكسار

العجمان

١٣٣

قم تعرّف معي الى «العجمان»

هم قبيلٌ يُنمى الى قحطان

رحّل يقطنون في نجران

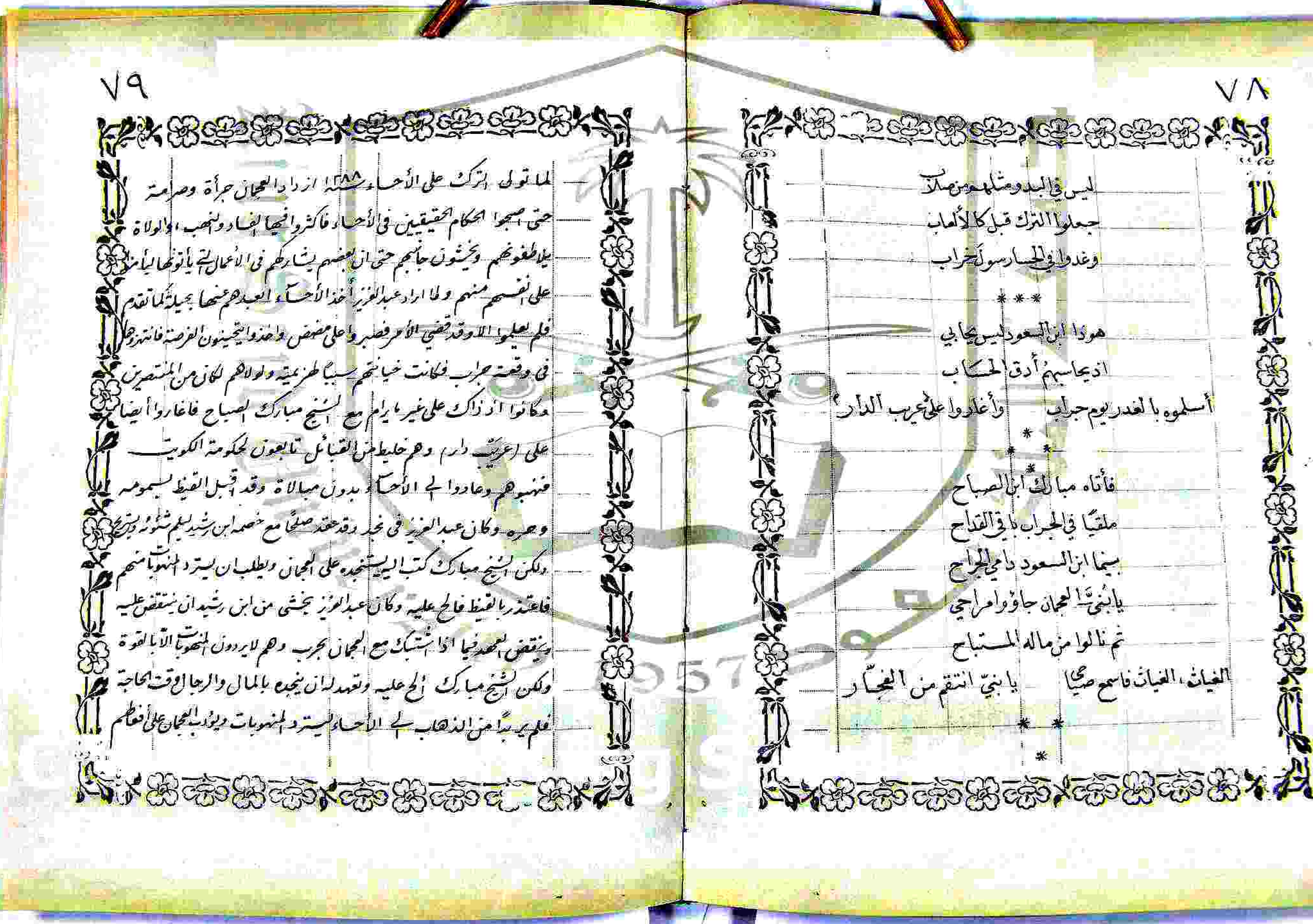
ثم جاؤوا الاحساء منذ زمان

فأناخوا من عسفهم بجران

شبهوهم في العرب بالألمان ... في اتحاد وقوة واقتدار

العجمان

العجمان قبيلة من القبائل اليمانية تنتمي في نسبها الى همدان من قحطان كانت في السابق تسكن بادية نجران وفي منتصف القرن الماضي انتقلت الى نواحي الأحساء حيث السلطة هناك مستتبة لقبيلة بني خالد وكانت سياسة الأمام تركي تقتضي اضعاف بني خالد بمزاحمة سواهم فرحب بالعجمان وبرغم قلة عددهم تمكنوا من مزاحمة الخالديين واستأثروا بالسلطة دونهم وهم مشهورون بالحزامة والحمية لبعضهم بعض وفيهم التقلب والغدر وها قد نسوا فضل الامام تركي عليهم وناصبوا ابنه الامام فيصل العداء فسير اليهم ابنه الأمام عبد الله فاوقع بهم في «دملج» وكان يفنيهم بعدها بعام في وقعة «الطبعة» بقرب كاظمة على خليج الكويت ثم أجلاهم الى نجران وبعد ولاية واختلافه مع أخيه سعود ذهب سعود الى نجران فاجتمعوا عليه وآزروه وجاؤوا معه ينا صرونه وليثأروا باسمه من أخيه فكانت وقعة «جودة» المشهورة ولهم فيها يد محسوسة وقد اشتهر منهم في تلك الحروب رئيسهم راكان بن حثلين وهو أحد الفرسان المشهورين والشعراء المجيدين وآل حثلين من الناجعة ولهم الزعامة على القبيلة كلها



ليس في البدو مثلهم من صلاب

جعلوا الترك قبل كالألعاب

وغدوا في الحساب سول خراب

* * *

هودا ابن السعود ليس يحابي

اذ يحاسبهم أدق الحساب

أسلموه بالغدر يوم جراب وأغاروا على اعريب الدار

*

* *

فأتاه مبارك ابن الصباح

ملقيًا في الجراب باقي القداح

بينما ابن السعود دامي الجراح

يا بني العجمان جاوُوا مراحي

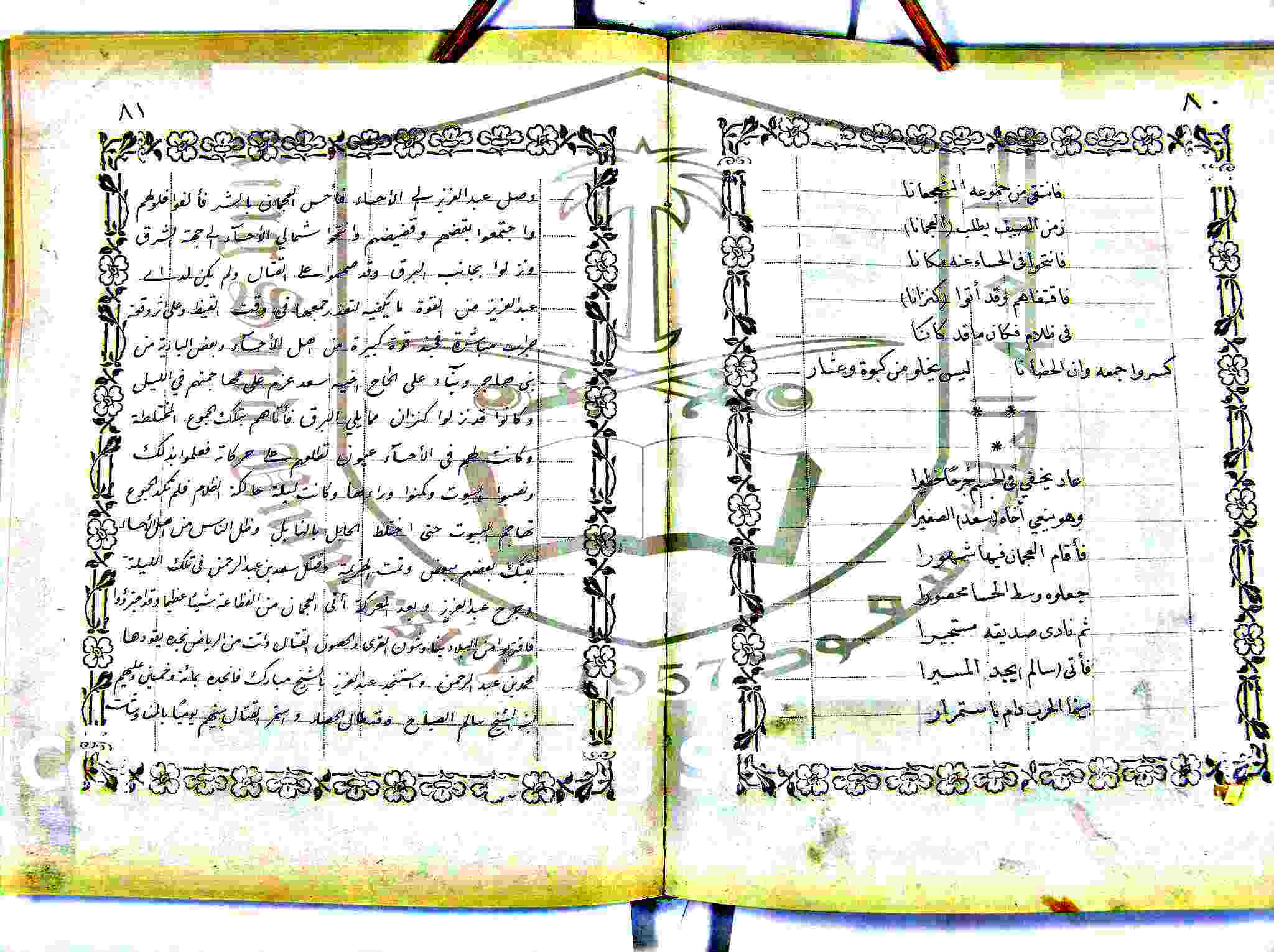
ثم نالوا من ماله المستباح

الغيات الغيات فاسمع صيحا يا بني انتقم من الفجار

* *

*

لما تولى الترك على الأحساء سنة ١٢٨٨ ازداد العجمان جرأة وصرامة حتى اصبحوا الحكام الحقيقيين في الأحساء فاكثروا فيها الفساد والنهب ، والولاة يلاطفونهم ويخشون جانبهم حتى ان بعضهم يشاركهم في الاعمال التي يأتونها ليأمنوا على انفسهم منهم ولما اراد عبدالعزيز أخذ الأحساء ابعدهم عنها بحيلة ثم لما تقدم فلم يعلموا الا وقد قضي الأمر فصبروا على مضض واخذوا يتحينون الفرصة فانتهزوها في وقعة جراب فكانت خيانتهم سببًا لهزيمته ولولاهم لكان من المنتصرين فكانوا اذ ذاك على غير وئام مع الشيخ مبارك الصباح فاغاروا أيضا على اعريب دار وهم خليط من القبائل تابعون لحكومة الكويت فنهبوهم وعادوا الى الأحساء بدون مبالاة وقد قبل القيظ بسمومه وحره وكان عبدالعزيز في نجد وقد عقد صلحًا مع خصمه ابن رشيد ليلم شعثه ويستريح ولكن الشيخ مبارك كتب اليه يستنجده على العجمان ويطلب ان يسترد المنهوبات منهم فاعتذر بالقيظ فالح عليه وكان عبدالعزيز يخشى من ابن رشيد ان ينتقض عليه وينقض العهد فيما اذا اشتبك مع العجمان بحرب وهم لا يردون المنهوبات الا بالقوة ولكن الشيخ مبارك ألح عليه وتعهد له ان ينجده بالمال والرجال وقت الحاجة فلم ير بدًا من الذهاب الى الأحساء ليسترد المنهوبات ويؤدب العجمان على أفعالهم

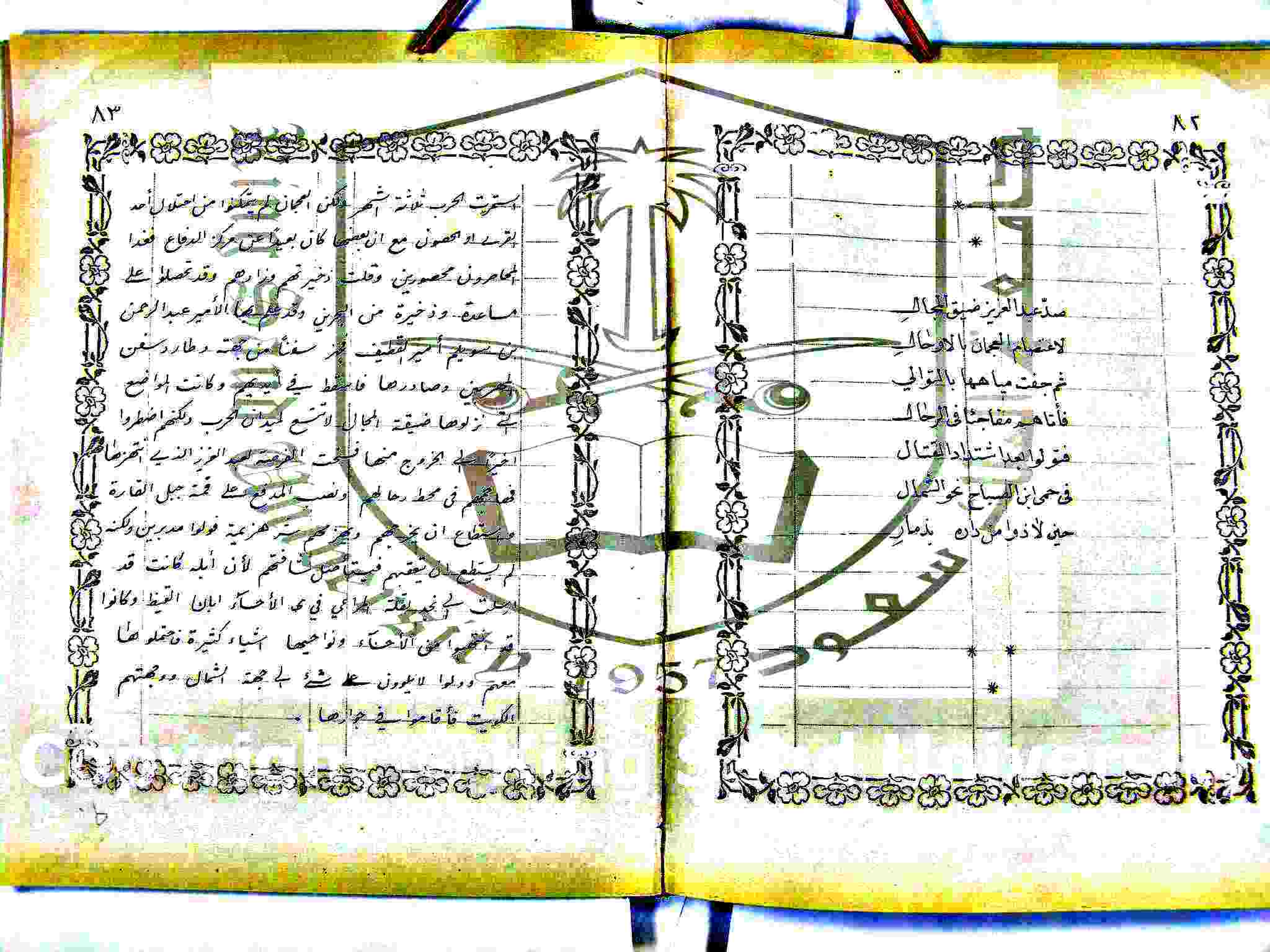


فانتقى من جموعه الشجعانا
زمن الصيف يطلب (العجمانا)
فانحوا في الحساء عنه مكانا
فاقتفاهم وقد أتوا (كنزانا)
في ظلام فكان ما قد كانا
كسروا جمعه وان الحصانا ليس يخلو من كبوة وعثار

* * *

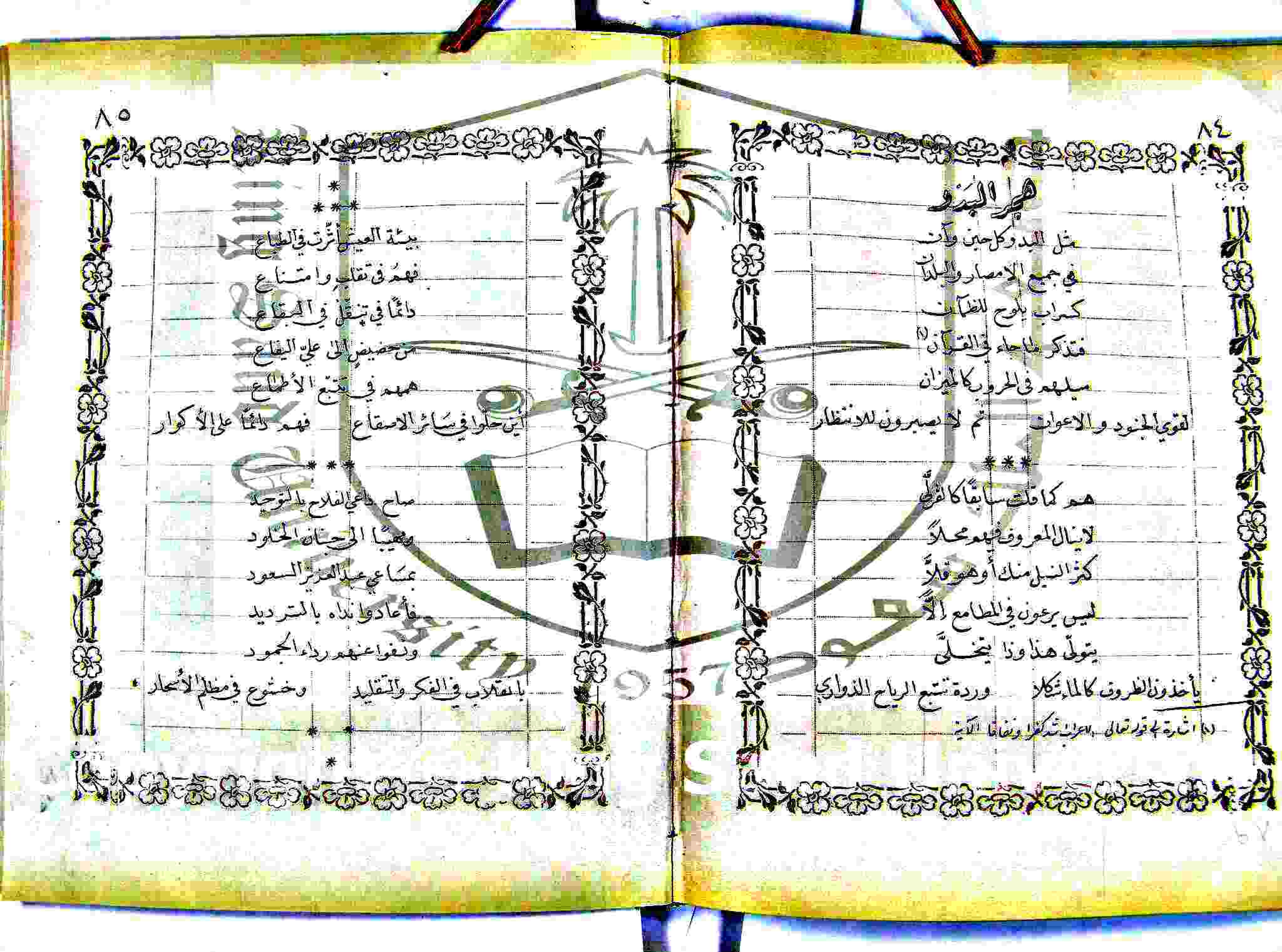
عاد يخفي في الجسم جرحاً خطيرا
وهو ينعي أخاه (سعد) الصغيرا
فأقام العجمان فيها شهورا
جعلوه وسط الحسا محصورا
ثم نادى صديقه مستجيرا
فأتى (سالم) يجد المسيرا
بينما الحرب دام باستمرار

وصل عبد العزيز الى الاحساء فاحس العجمان بالشر فأخلوها
واجتمعوا بقضهم وقضيضهم ونحوا شمالي الاحساء الى جهة الشرق
ونزلوا بجانب البرق وقد صمموا على القتال ولم يكن لدى
عبد العزيز من القوة ما يكفيه لتفريق جمعها في وقت القيظ وعلى اثر وقعة
جراب مباشرة فجند قوة كبيرة من اهل الاحساء وبعض البادية من
بني صالح وتبادر على الحاج اخيه سعد عزم على مهاجمتهم في الليل
وكانوا قد نزلوا كنزان ما يلي البرق فأتاهم بتلك الجموع المختلطة
وكانت لهم في الاحساء عيون تطلعهم على حركاته فعلموا بذلك
ونصبوا البيوت وكمنوا وراءها وكانت ليلة حالكة الظلام فلم تكد الجموع
تهاجم البيوت حتى اختلط الحابل بالنابل وظل الناس من اهل الاحساء
يفتك بعضهم ببعض وتمت الهزيمة وقتل سعد بن عبد الرحمن في تلك الليلة
وجرح عبد العزيز وبعد المعركة القى العجمان من الفظاعة شيئا عظيما وقد جرؤوا
فاقتربوا من البلاد يناوشون القرى والحصون للقتال واتت من الرياض نجدة يقودها
محمد بن عبد الرحمن واستنجد عبد العزيز بالشيخ مبارك فانجده بمائتين وخمسين عليهم
ابنه الشيخ سالم الصباح وقد طال الحصار واستمر القتال بينهم يوميا بالمناوشات



صدّ عبد العزيز ضيق المجالِ
لاعتصام العجمان بالأوحالِ
ثم جفت مياهها بالتوالي
فأتاهم مفاجئاً في الرحالِ
فتولوا بعد اشتداد القتال
في حمى ابن الصباح نحو الشمال
حيث لاذوا من ذاك بذمارِ

استمرت الحرب ثلاثة أشهر ولكن العجمان لم يتمكنوا من احتلال أحد بقرى او الحصون مع ان بعضها كان بعيداً عن مركز الدفاع فغدا المحاصرون محصورين وقلت ذخيرتهم وزادهم وقد تحصلوا على مساعدة وذخيرة من البحرين وقد علم بها الأمير عبد الرحمن بن سويلم أمير القطيف فجهز سفناً من جهته وطارد سفن البحرين وصادرها فاسقط في أيديهم وكانت المواضع التي نزلوها ضيقة المجال لا تتسع لميدان الحرب ولكنهم اضطروا اخيراً الى الخروج منها فسنحت الفرصة لعبد العزيز الذي انتهزها فصدمهم في محط رحالهم ونصب المدفع على قمة جبل القارة فما استطاع ان يخرجهم وهزمهم شر هزيمة فولوا مدبرين ولكنه لم يستطع ان يتعقبهم فيستأصل شأفتهم لأن ابله كانت قد ارسلت الى نجد لقلة المراعي في نواحي الأحساء ابان القيظ وكانوا قد انتهبوا من الأحساء ونواحيها اشياء كثيرة فحملوها معهم وولوا لا يلوون على شيء الى جهة الشمال ووجهتهم الكويت فأقاموا في جوارها .



هم البدو

مثل البدو كل حين وآن

في جميع الامصار والبلدان

كسراب يلوح للظمآن

فتذكر ما جاء في القرآن[1]

ميلهم في الحروب كالميزان

لقوي الجنود والاعوان ثم لا يصيرون للانتظار

* * *

هم كما قلت سابقاً كالقولى

لا ينال المعروف فيهم محلاً

كثر النيل منك أو هو قلّا

ليس يرعون في المطامع إلا

يتولى هذا وذا يتخلّى

يأخذون الظروف كالماء شكلا وردة تتبع الرياح الذواري

(١) اشارة لقوله تعالى «الاعراب اشد كفرا ونفاقا» الآية

* * *

بيئة العيش أثّرت في الطباع

فهمُ في تقلب وامتناع

دائماً في تنقل في البقاع

من حضيض الى علي اليفاع

همهم في تتبع الأطماع

أين حلّوا في سائر الاصقاع فهم دائماً على الأكوار

* * *

صاح داعي الفلاح بالتوحيد

ونهيباً الى جنان الخلود

بمساعي عبد العزيز السعود

فأعادوا نداه بالترديد

ونفوا عنهم رداء الجمود

بانقلاب في الفكر والتقليد وخشوع في مظلم الأسحار

* *

* * *

وغدوا في اتحادهم إخوانا كتآخٍ بين الصحابة كانا

تاركين الثارات والعدوانا مخلصين الإيمان والإحسانا

مظهرين اجتهادهم إعلانا وزمان النهوض بالمجد آنا

وزهت بالسعود منه الدراري

* * *

غير أن الإمام وهو الحكيم بطباع البدو الجفاة عليم

لم يُرِدْ وَضْعَ حالةٍ لا تدوم ربما تُحدِثُ العِداةُ الخصومُ

رَدَّ فِعْلٍ تضيع فيه الحلوم وشئون البداة لا تستقيم

قبل تقييدها بقيد الجدار

* * *

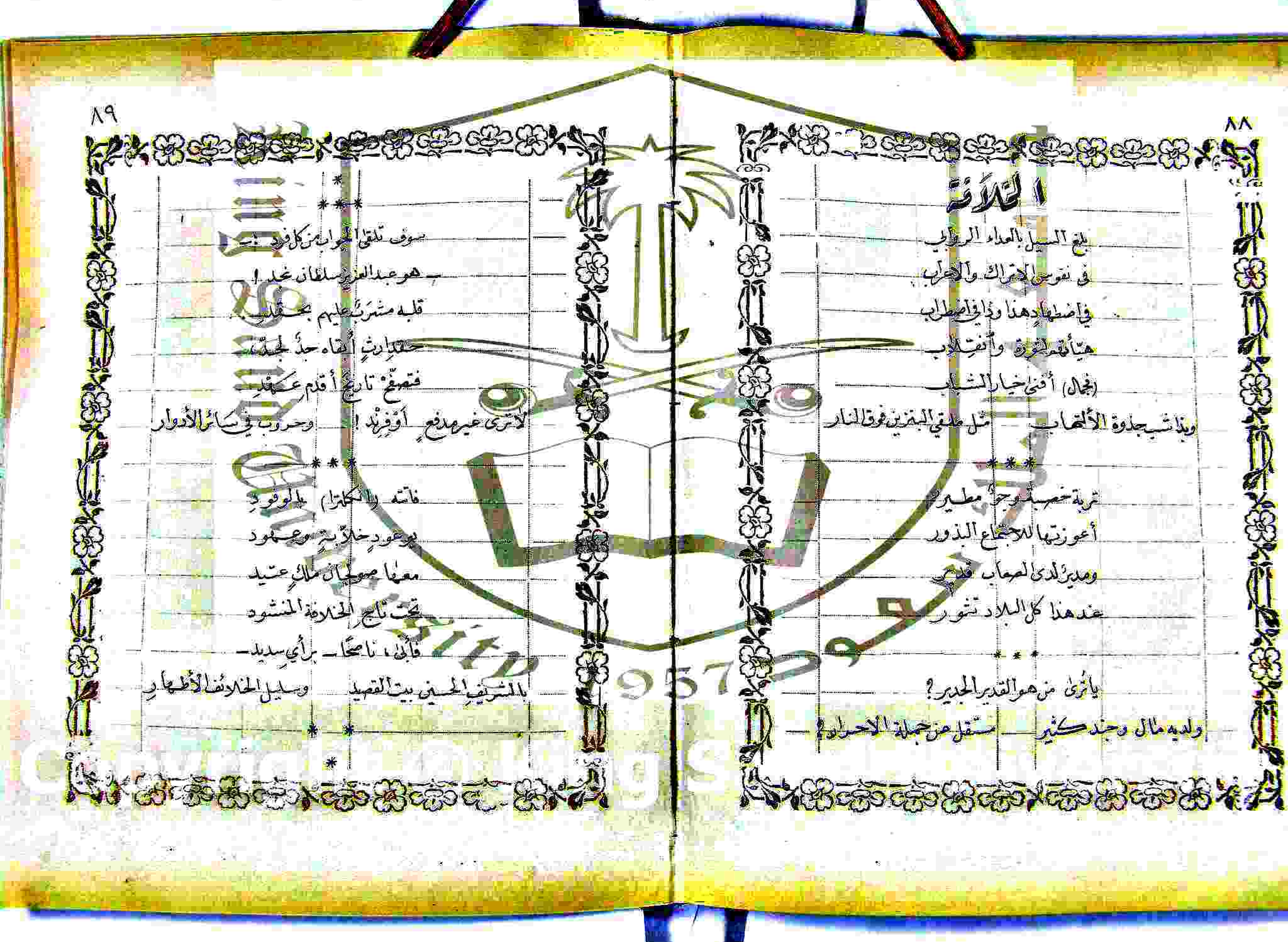
فدعاهم الى بناء الدور راغباً في إقامة التحضير

واقتناء المحراث بعد البعير مستعيناً بالوعظ والتذكير

فاستجابوا برغبة وسرور وبنوها في ظرف وقت يسير

مئة أو تزيد في المقدارِ

ما انتهت حروب الدرعية الا والدعوة السلفية او الاصلاح الديني الذي قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد عم نجدا كلها ورسخ في نفوس أهاليها ولكنه اختص الحضر منهم خصوصا في العارض وما والاه أما البادية فسرعان ما عادوا الى عاداتهم الجاهلية ولكن الانقلاب الذي احدثه عبد العزيز في بث الدعوة بينهم أمر لم يحصل له مثيل في تاريخ الاسلام فقد نبذوا عاداتهم الراسخة طائعين وأقبلوا على العبادة وقراءة القرآن حتى كادت الأمية تمحى من بينهم بعد أن كانوا كلهم اميين ولكنه رأى بنظره الثاقب أن حالة البدو لا دوام لها وان من غريزتهم التقلب في الآراء والأحوال ولا يمكن الاعتماد عليهم في أمر ما داموا متنقلين في الصحارى والقفار فأمرهم بالتحضر وبناء البيوت والاشتغال بالزراعة لأن التجارب علمته ان لا يعتمد الا على الحضر وقد جد في بث الدعوة ولم ينقض عقد من السنين الا وتلك الصحارى المقفرة والفيافي الموحشة ملأى بالمدن والقرى الآهلة بعشرات الالوف من السكان حتى ناهزت الاثنين عدا وأهمها: الغطغط والداهنة ونفي وساجر لقبيلة عتيبة المشهورة . والارطاوية ومليص وقريان وقرية العليا وقرية السفلى لقبيلة مطير ودارين والهياثم لقحطان ومشرفة للدواسر والصرار وعريعرة للعجمان ودخنة وقبة لحرب وثاج للعوازم والشبكة للمرة وعين دار للهواجر والأجفر لشمر ولو اردنا عدها لضاق بنا المقام ولم تمض بضع سنوات حتى تحضر واعتنق الكلمة



الخلافة

بلغ السيل بالعداء الروابي

في نفوس الأتراك والأعراب

في اضطهاد هذا وذا في اضطراب

هيأ لهم الثورة والانقلاب

(فجمال) أفنى خيار الشباب

وبذا شب جذوة الألتهاب — مثل ملقي البنزين فوق النار

* * *

تربة خصبة وجو مطير

أعوزتها للاجتماع البذور

ومدير لدى الصعاب قدير

عند هذا كل البلاد تثور

* * *

يا ترى من هو القدير الجدير؟

ولديه مال وجند كثير — مستقل عن جملة الأحرار؟

* * *

سوف تلقى الجواب من كل فرد

هو عبد العزيز سلطان نجد!

قلبه مترع عليهم بحقد

حقد إرث أبقاه جد لجد

فتصفح تاريخ أقدم عهد

لا ترى غير مدفع أو فرند! — وحروب في سائر الأدوار

* * *

فاتته (انكلترا) بالوفود

بوعود خلابة وعهود
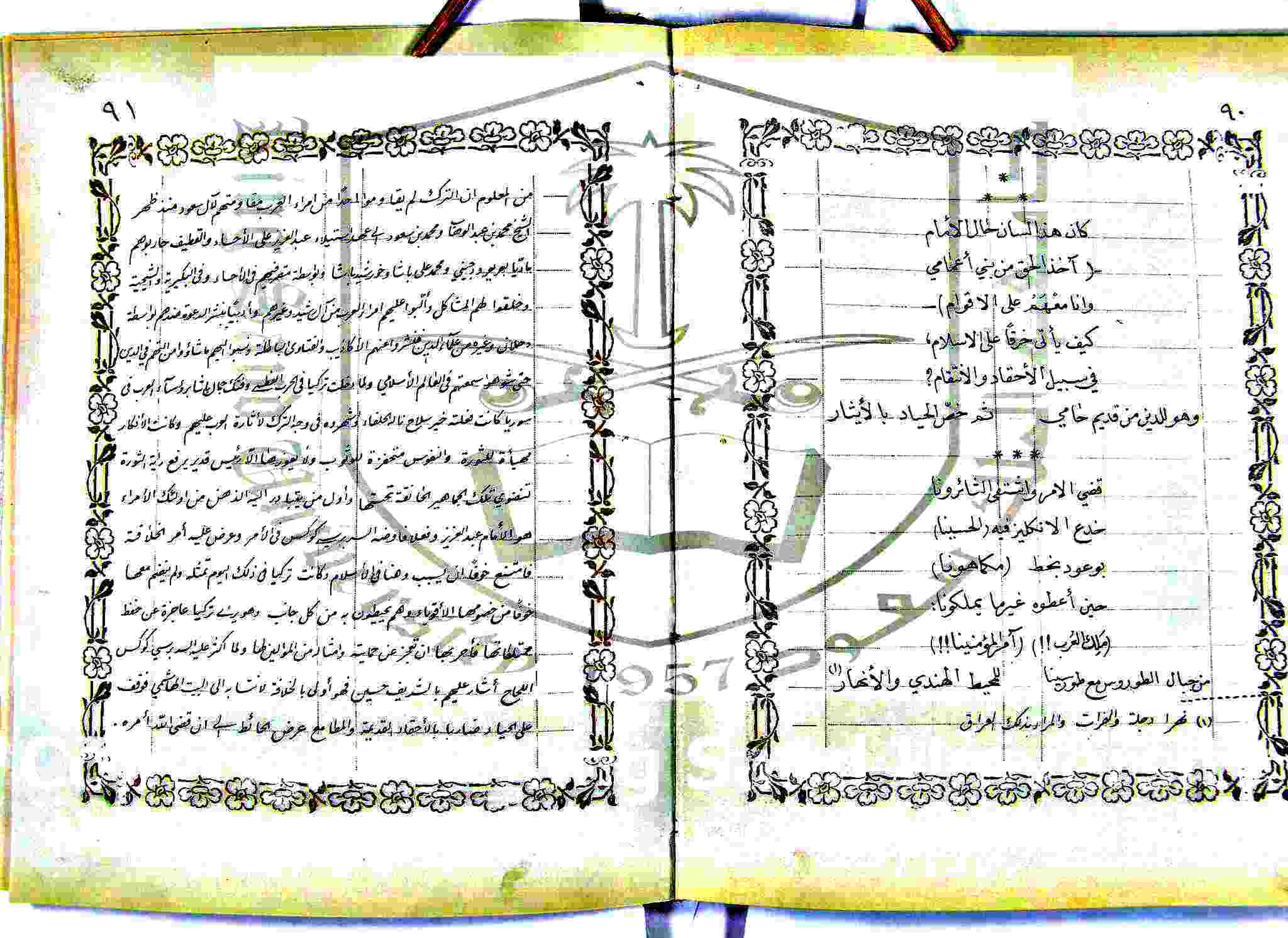
معها صولجان ملك عتيد

تحت تاج الخلافة المنشود

فأبى ناصحاً برأي سديد

بالشريف الحسيني بيت القصيد — وسليل الخلائف الأطهار

* * *



*
* *

كان هذا لسان حال الامام

(آخذ الحق من بني أعمامي

وانا معهم على الاقوام) –

كيف يأتي خرقاً على الاسلام،

في سبيل الأحقاد والانتقام؟

وهو للدين من قديم حامي ثم خص الحياد بالأيثار

* * *

قضي الامر وانتهى الثائرونا

خدع الانكليز فيه (الحسينا)

بوعود نخط (مكماهونا)

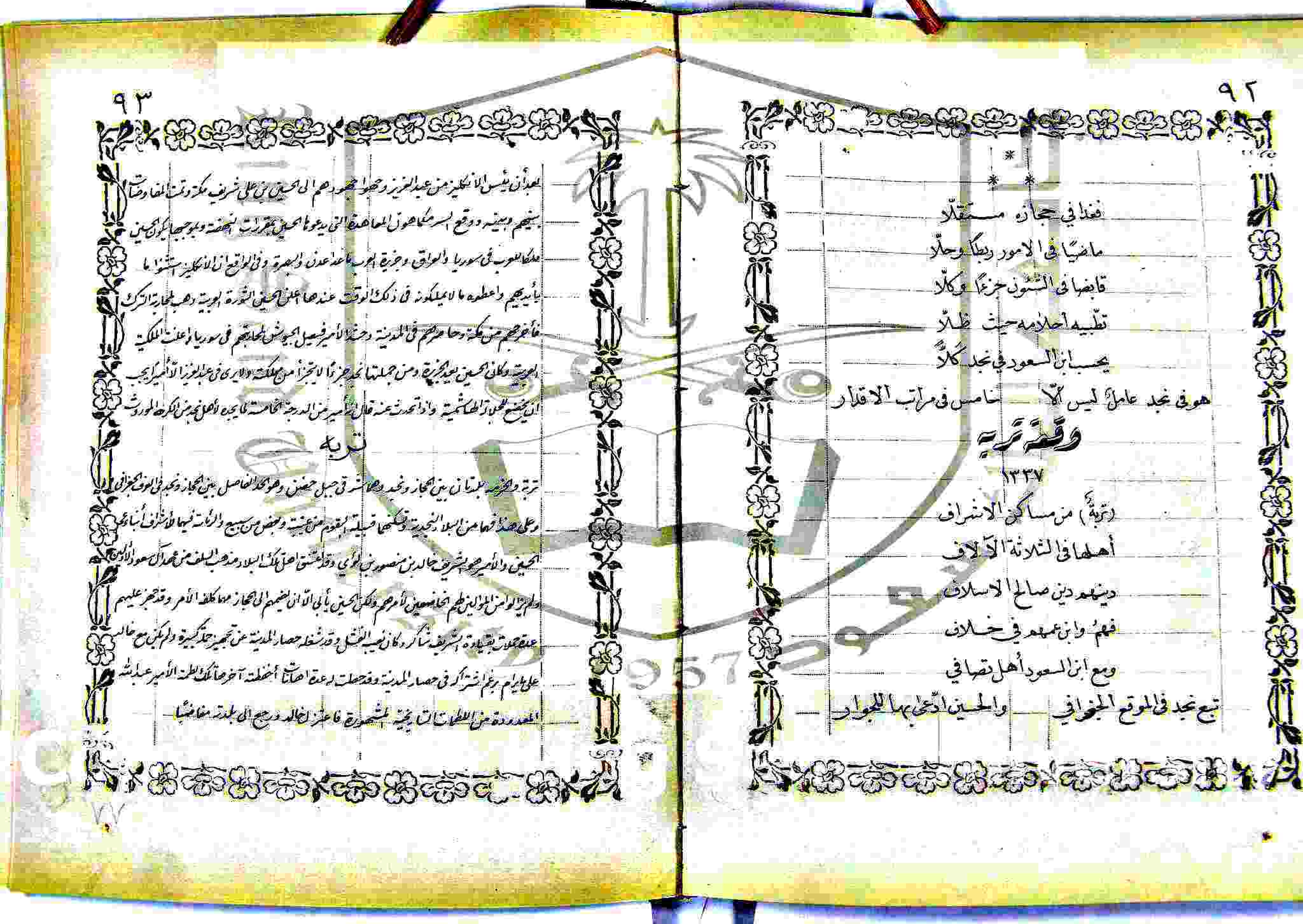
حين أعطوه غير ما يملكونا:

(ملك العرب!!) (آمر المؤمنينا!!)

من جبال الطوروس مع طوروسينا للمحيط الهندي والأنهار[1]

(١) نهرا دجلة والفرات والمراد بذلك العراق

من المعلوم ان الترك لم يقاوموا احدًا من امراء العرب مقاومتهم لآل سعود منذ ظهر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود الى عهد استيلاء عبد العزيز على الأحساء والقطيف حاربوهم ماديًا بجيوشهم وجيش محمد علي باشا وخورشيد باشا وبواسطة متصرفيهم في الاحساء وفي البكيرية والشحية وخلقوا لهم المتاعب في كل وألبوا عليهم امراء العرب من آل رشيد وغيرهم وأدبيًا بنشر الدعوة ضدهم بواسطة دحلان وغيره من علماء الدين فنشروا عنهم الأكاذيب والفتاوى الباطلة ونسبوا اليهم ما شاؤوا من التهم في الدين حتى شوهوا سمعتهم في العالم الاسلامي ولما دخلت تركيا في الحرب العظمى وفتك جمال باشا برؤساء العرب في سوريا كانت فعلته خير سلاح نال الحلفاء وشهروه في وجه الترك لاثارة العرب عليهم وكانت الأفكار مهيأة للثورة والنفوس متحفزة للوثوب ولا ينقصها الا رئيس قدير يرفع راية الثورة تنضوي تحتها تلك الجماهير الحانقة وأول من تقدم اليه الدعوة من أولئك الامراء هو الامام عبد العزيز وفعلًا فاوضه السر برسي كوكس في الأمر وعرض عليه أمر الخلافة فامتنع خوفًا ان يسبب وهنًا في الاسلام وكانت تركيا في ذلك اليوم ممثلة ولم ينضم معها خوفًا من خصومها الأقوياء وهم محيطون به من كل جانب وهو يرى تركيا عاجزة عن حفظ ممتلكاتها فأحرى بها ان تعجز عن حمايته وأشار من الموالين لها ولما أكثر عليه السر برسي كوكس الالحاح أشار عليهم بالشريف حسين فهو أولى بالخلافة لانتسابه الى البيت الهاشمي فوقف على الحياد ضاربًا بالأحقاد القديمة والمطامع عرض الحائط الى ان قضى الله أمره.



* * *

فهو في حجازه مستقلا

ماضيًا في الامور ربطًا وحلّا

قابضًا في الشئون جزءًا وكلّا

تطبيه أحلامه حيث ظلّا

يحسب ابن السعود في نجد كلّا

هو في نجد عاملٌ ليس إلّا خامس في مراتب الاقدار

وقعة تربة

١٣٣٧

(تربةٌ) من مساكن الاشراف

أهلها في الثلاثة الآلاف

دينهم دين صالح الاسلاف

فهمُ وابن عمهم في خلاف

ومع ابن السعود أهل تصافي

تبع نجد في الموقع الجغرافي والحسين ادّعى بها للجوار

بعد أن يئس الانكليز من عبد العزيز وجهوا جهودهم الى الحسين بن علي شريف مكة وتمت المفاوضات بينهم وبينه ووقع السر مكماهون المعاهدة التي يدعوها الحسين بمقررات نهضة وبموجبها يكون الحسين ملكًا للعرب في سوريا والعراق وجزيرة العرب ما عدا عدن والبصرة وفي الواقع ان الانكليز استثنوا ما بأيديهم واعطوه ما لا يملكونه في ذلك الوقت عندها أعلن الحسين الثورة العربية وهب لمحاربة الترك فأخرجهم من مكة وحاصرهم في المدينة وحشد الأمير فيصل الجيوش لمحاربتهم في سوريا وأعلنت المملكة العربية وكان الحسين يعد الجزيرة ومن جملتها نجد جزءًا لا يتجزأ من مملكته ولا يرى في عبد العزيز إلا أميرًا يجب أن يخضع للحكومة الهاشمية وإذا تحدث عنه قال الأمير من الدرجة الخامسة مما يجرح لأهل نجد من الكرامة الموروث

تربة

تربة والخرمة بلدتان بين الحجاز ونجد وهما شرق جبل حضن وهو الحد الفاصل بين الحجاز ونجد في الموقع الجغرافي وعلى هذا فهما من البلاد النجدية ويسكنهما قبيلة البقوم من عتيبة وبعض من سبيع والرئاسة فيهما للأشراف أتباع الحسين والأمير هو الشريف خالد بن منصور بن لؤي وقد اعتنق أهل تلك البلاد مذهب السلف من عهد آل سعود الأولين وظلوا من الموالين لهم الخاضعين لأمرهم ولكن الحسين يأبى إلا أن يضمهم الى الحجاز مهما كلف الأمر وقد جهز عليهم عدة حملات بقيادة الشريف شاكر وكان نصيب الفشل وقد شغله حصار المدينة عن تجهيز حملة كبيرة ولم يكن مع خالد على الإمام برغم اشتراكه في حصار المدينة وقد حصلت بعدة اهانات أخطته آخرها تلك لطمة الأمير عبد الله المعدودة من اللطمات التاريخية المشهورة فاعتزل خالد ورجع الى بلدته مغاضبًا

* * *

حين ذلت (فروق) (والمسفور)
ضاق ذرعًا (فخري) المحصور
سلم الامر حيث فاز الأمير
فأتى منه للأمام البشير
أبشيرٌ رسوله أم نذير ؟
قد ظفرنا وجيشنا المنصور زاحفٌ في تعقب الاشرار !

* * *

واصل الزحف جيشه للأمام
زمرًا في الوف من سائر الاقوام
مع الفين من جنود النظام
وقد احتل (تربة) بسلام
ثم أوصى (لخالد) بكلام
داعيًا قومه للأستسلام منذرًا أهل (خرمة) بالدمار !

* * *

لم يصبر فانذر ترك على الحصار في بلاد العرب صبر فخري باشا قائد حامية المدينة المنورة فقد ظلت جيوش الأمير عبد الله بن الحسين تحاصره ثلاث سنوات الى ان سلمت الأستانة ودخلتها جيوش الحلفاء بعد الهدنة فسلم بعد ان يئس من كل شيء مضطرًا وذلك في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٣٧ وقد استولى الأمير على اسلحة الحامية وذخائرها وكتب الى الأمام عبد العزيز يخبره بخبر الفتح وما أفاء الله عليه من الغنيمة وان جيشه المنصور سيتقدم أمامه عاليه عن تعقب الاشرار والخوارج (يشير الى اهالي تربة والخرمة اذا لم يكن يقصد عبد العزيز نفسه كما يتبين من رسالته الى خالد بن لؤي) وانه ينوي الرجوع الى مكة ليتمثل أمام والده صاحب الجلالة الهاشمية ولكنه بدل ان يتوجه الى مكة اجتمع بوالده على عشيرة وواصل الزحف منها الى جهة تربة وهو يخفي قصده الحقيقي عن عبد العزيز ورغم تظاهره فقد علم عبد العزيز بما ينطوي عليه فارسل سرية بنحو الف ومائتين من الاخوان ليقودها سلطان بن بجاد بن حميد للدفاع عن اهل تربة الى ان يأتيهم عبد العزيز بمن معه فنزلت السرية على الشريف خالد بن لؤي في الخرمة وكان جيش الأمير عبد الله مؤلفًا من خمسة آلاف من البدو والفين من الجنود النظامية ومعه من الآلات والمدافع والاستعداد الحربية الشيء الكثير والكثير مما غنمه من فخري باشا وفي يوم ٢٤ شعبان سنة ١٣٣٧ هاجم تربة وكان قد أرسل ناسًا من البقوم دخلوا البلد بحجة الدفاع عنها مع قومهم وطاوا فاها ثاروا ودعوا الامير يعني له دخولها بسلام فاستباحها وقتل من فيها من اهل نجد وبعض المغضوب عليهم من اهلها

*

* *

سوف نقضي الصيام من رمضانِ

ثم نفني شراذم الاخوانِ

ونضحي في (الكوت) باطمئنانِ

ثم نام الأمير بين الأماني

* * *

(خالد) في الجيوش مع (سلطانِ)

نزلوا ماءً اسمه (القرنانِ) فأتتهم رسالة الإنذار

* * *

أجمعوا أمرهم اوان الأصيل

بهجوم فيه شفاء الغليل

وتنادوا كالرعد بالتهليل

حيث لاقوا كثيرهم بالقليل

ومجاري الدماء مثل السيول

يا لها ليلة لعزرائيل ذاق فيها الأمير طعم الصَّغار

وكتب الى رؤساء تلك النواحي يعدهم ان لم يأتوا طائعين وكان لديه رسول لعبد العزيز فأطلقه وقال له أخبر صاحبك بما رأيت وكان خالد بن لؤي وسلطان لا يلبثهما خبر قدوم الأمير توجها للدفاع عن أهل تربة وقد نزلا ماءً يبعد عنها أربع ساعات يدعى القرنين وقال الأمير للرسول أخبر خالدا ومن معه من الخوارج أننا سنكفيهم مؤنة القدوم الينا ولا يظنون أننا نقصد الخرمة فقط فسنصوم رمضان في الخرمة ونعيد الأضحى في كوت الاحساء بعد أن نذيقهم ما يستحقون من الجزاء وأفهم الرسول بعد صلاة العصر فتوجه وأخبرهم بما فعله الأمير في تربة وبما قاله لهم فتشاوروا في الأمر وقرّ قرارهم على مهاجمة تلك الليلة فمشوا أصيل يوم ٢٤ شعبان سنة ١٣٣٧ ووجهتهم تربة وما انتصف الليل الا والاخوان قد وصلوا نواحي البلدة وكانوا قد علموا بترتيب جيش الأمير من الرسول فانقسموا ثلاث فرق فرقة خيالة ذهبت من وراء مخيم الأمير لتقطع عليه خط الرجعة وفرقة سلطان ووجهتها الجنود النظامية المخندقة وفرقة خالد يممت مخيم الأمير وقد نام فيه يحلم بالأماني الجميلة والملك الواسع وما راعنا الا اصوات التكبير والتهليل تتعالى من افواه الاخوان الهاجمين وكانت ساعة هائلة خيم فيها الموت وتطايرت الرؤوس عن الجسوم وفتكت كل فرقة بمن يليها فقد هاجمت فرقة سلطان بن بجاد العساكر النظامية وأعملت فيهم السلاح ولم ينج منهم أحد وتقدم خالد الى مخيم الأمير ففتك بالسرايا التي دونه وفر الأمير هاربا بمن معه من الحامية فأزاغه الاخوان وخيل قد باغتته وفتكت بمن معه ولم ينج الا هو بنفسه ومعه اثنا عشر رجلاً وتحصن من بقي من ذلك الجيش في قصر فهاجمهم الاخوان في النهار وفتكوا بهم وقد قتل في تلك الواقعة خمسة آلاف نفس وقضت على آمال الحسين

ثمّ ذا والامام بالجيش آتي
فاتى للمكان بعد الفوات
حيث هالته كثرة الاموات
فبكاهم بذارف العبرات
واكتفى عن عقاب تلك العتاة
وهو لو شاء أخذهم في غداة
لاقتفاهم بجيشه الجرار

لم يكتف عبد العزيز بالسرية التي أرسلها مع سلطان بن بجاد فقد حشد جنداً كثيراً مؤلفاً من اثني
عشر ألف مقاتل وتوجه بنفسه للدفاع عن أهالي تربة والخرمة بعد أن تأكد من سوء نية
الأمير عبد الله وقد وافاه النجاب في الطريق بعد الوقعة بخمسة أيام فأخبره بتفاصيلها
فواصل السير الى أن اتى تربة وشاهد تلك المجزرة البشرية الهائلة ولم يتمالك أن بكى
على اولئك القتلى البائسين وأمر بدفنهم واجتمع لديه من الأثاث والآلات والأسلحة
النارية الشيء الكثير وهي مجموعة قوات الطرفين المتحاربين في حصار المدينة: أسلحة
الجيش الهاشمي وأسلحة جنود فخري باشا. فاستولى عبد العزيز على الجميع وما كاد يستقر في تربة
حتى نادى الأخوان بالزحف إلى الطائف وكانت فرصة سانحة إذ لو تقدموا الى الحجاز لما
وجدوا أمامهم أقل مقاومة لأن الجيوش الهاشمية انحلت ويتعذر جمع غيرها في مثل تلك
الظروف. ومع ان الحسين كان هو البادئ بالعدوان فان عبد العزيز المتصف بالأناة والروية والحلم
رأى بثاقب نظره أن الساعة لم تحن بعد واكتفى بما ناله الحسين من الخيبة والفشل وأمر
الاخوان بالرجوع الى نجد اما الحسين فلم يزدد الا عدوانا ومقاومة فاوصد البيت
الحرام في وجوه اهالي نجد ومنعهم من الحج واخذت جريدة القبلة تنشر المقالات
التي يحبرها الحسين بقلمه في الطعن باهل نجد وابن سعود مما كان له الأثر الأسوأ
في نفوسهم وصدت من أكبر الأسباب الدافعة لعبد العزيز على فتح الحجاز كما سيأتي



فتح حائل

١٣٤٠

عُذْنا الحسين بن الوعيدِ

وصياح السباب والتهديد

بعد فوت المنى وسحق الجنود ـــ

قد رمى نجد بالعدو اللدود

(بسعود العبد العزيز الرشيد)

بعتادٍ وبسوقه ونقود: ((خذ وجذ من شمّ الاحرار))[٢]

***

أصبح حينذاك حال الشريف

تشبه ابن الصباح بعد الصريف

فغذاحذوه برأي حصيف

ضاربًا ضده بسيف الحليفِ

بيدأن الظروف غير الظروف

حتّ هذا قبل انشقاق الصفوف ــ هو ذا الذين قد فشا في (قفار)[١]

فشا

لم يكن الحسين يحسب حسابا لأهالي نجد وابن سعود فقد كان يعده في امراء العرب من الدرجة الخامسة ولم يزل قواته في نجد أما الشريف شاكر العديق فقد كان يعول على جيوشه التي كانت مشغولة بحصار المدينة ولكن وقعة تربة ألقت عليه درسًا وعلمته ان لا يعتمد على جنوده المرتزقة وقواده الغير محنكين وعلم ان اهالي نجد لا يقاتلون لاشخاصهم فالتفت الى خصم عبد العزيز اللدود ، الى سعود بن عبد العزيز بن متعب الرشيد ولسان حاله يقول: ((لا يفل الحديد الا الحديد)) وكأنه أراد ان يتشبه بمبارك الصباح في سياسته التي قضى بها على خصمه فاستنجد الحسين بابن الرشيد على محاربة عدو الاثنين وفتح الخزائن وأمده بالاسلحة والمعدات الحربية وكان سعود اذ ذاك مرتبطا مع عبد العزيز بصلح على أثر المناوشات الاخيرة فكث ولاقيمة للصلح في نظره متى سنحت الفرصة للانتقام ولم يكن الحسين موفقا في سعيه توفيق مبارك فان الظروف قد تبدلت وثم قد نعمت على نفسها ودين كثير منها واصبح اسم الاخوان مرعبًا خصوصاً بعد وقعة تربة وليس في سعود الرشيد من المؤهلات ما يمكنه من مقاومة ابن سعود والقضاء عليه فكانت تجربة غير ناجحة أيضا ان لم تكن نتائجها عادت بالعكس على الحسين فقد كانت من اهم الدواعي التي حدت بعبد العزيز الى فتح حائل وتكوين وحدة نجدية اقضت مضجعه وقضت على عرشه .

---

(١) قفار اسم قرية من قرى حائل والمراد بذلك هنا شمر .

* * *

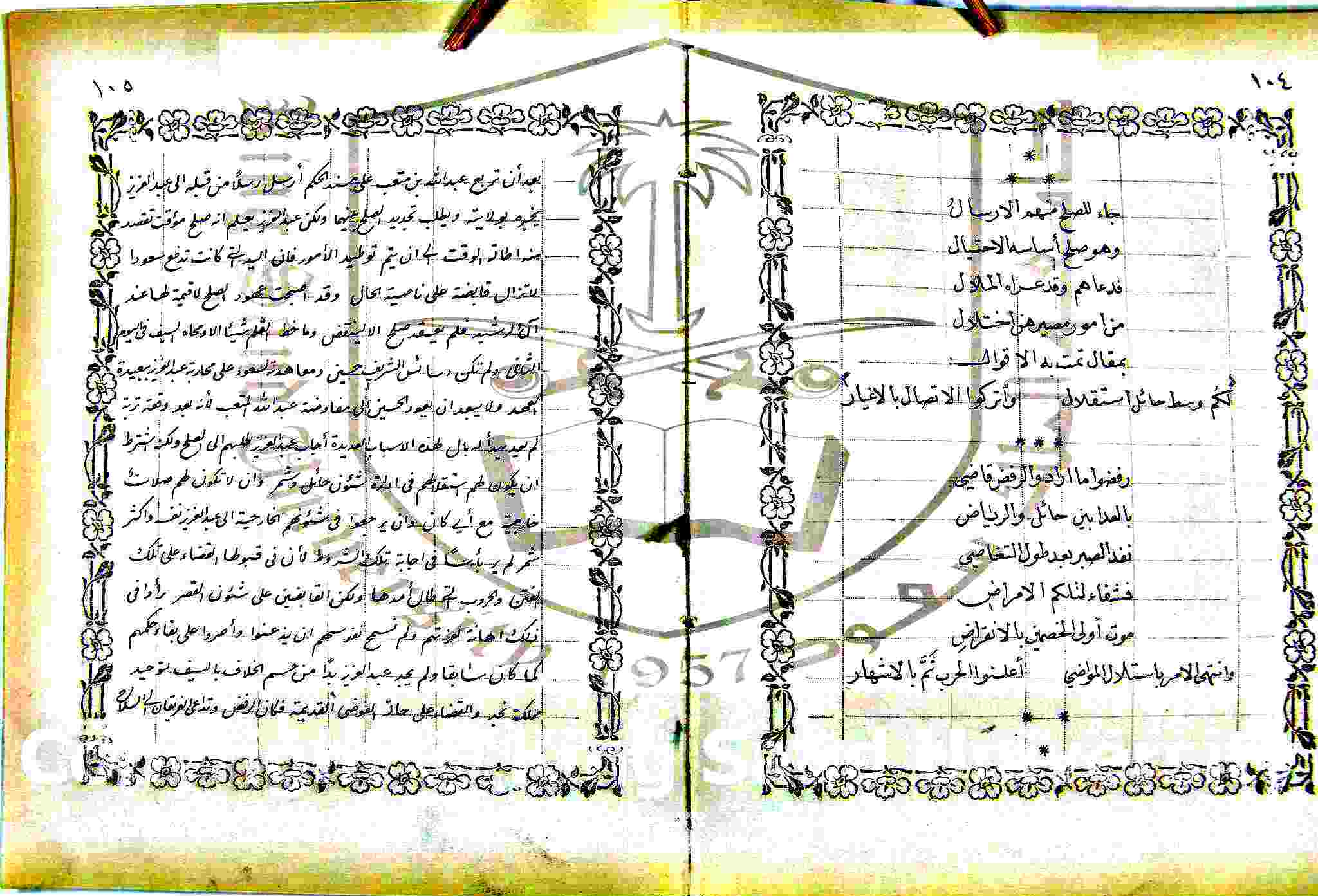
نكث الصلح والعهود سعودُ
فنهاه الناهون عما يريد
فتراه بالاعتذار يعودُ
كل يوم نقض فصلح جديد
حاكمٌ طائشٌ وشعبٌ عنيد
ستار ونسوة وعبيد   أين هذا من ذاك في الاخيار

* * *

ثم ألهته فتنة (الشعلان)
ثم اودى بغدر كفا الجاني
فتولى ابن متعب في زمان
هيمنت فيه (فاطم السبهان)
معها في شئونهم عبدان
فوق عرش بالدم أحمرَ قاني   وهو بين الانياب والاظفار

* * *

حقًا ان الحسين لم يحسن الأختيار كزميله الشيخ مبارك ولا وضع آماله في ابن رشيد
في محلها فقد كان الأمر والنهي بيد احدى نساء القصر تديره من وراء الستار وهناك جيش
من العبيد لهم السلطة التامة والكلمة النافذة على صاحب الأمر ولصغر سنه تعوزه اشياء كثيرة من
شروط الامارة والتدبير فما سمع نداء الحسين حتى لباه ونقض الصلح وقلب ظهر المجن دون أن
يحسب لعشيره وقومه اي حساب وكان أكثرهم على ولاء وابن سعود فلم يرضوا
بنقض الصلح وانكروا على سعود فعلته التي لم يجد لها مبررًا فاضطر الى ان يعتذر
ويجدد عهد الصلح ثانية فقبل ابن سعود عذره ولكنه يعلم قيمة الصلح فاحب
ان ينظر النتيجة وان جنحوا للسلم فاجنح لها وظل سعود يلتمس الاعذار عند الحسين
ويضيف على ان الظروف خلقت له عذرًا حسنًا فقد اختلف النوري بن شعلان
مع اهل الجوف فاستنجدوا بابن الرشيد عليه فاراد النوري وحاربه وشمول
على الجوف وضمها الى حائل وكان عبد العزيز قد لزم جانب الحياد احترامًا للصلح
الجديد برغم استنجاد النوري به على ابن الرشيد لم يتمتع بلذة هذا الفوز الجديد
فما هو الا ان عاد الى حائل حتى قتله ابن عمه عبد الله بن طلال بن نايف بن طلال
بطلق ناري غدرا وكانا قد خرجا للنزهة وجعلا يرميان هدفا وعمد العبيد
الى قاتل مولاهم فقتلوه وتولى بعده ابن اخيه عبد الله بن متعب بن عبد العزيز الرشيد



* * *

جاء للصلح منهم الارسالُ

وهو صلح أساسه الاحتيال

فدعاهم وقد عراه الملال

من أمور مصيرهن اختلال

بمقال تمت به الاقوال:

لكم وسط حائل استقلال — واتركوا الاتصال بالاغيار

* * *

رفضوا ما اراد والرفض قاضي

بالعدا بين حائل والرياض

نفد الصبر بعد طول التغاضي

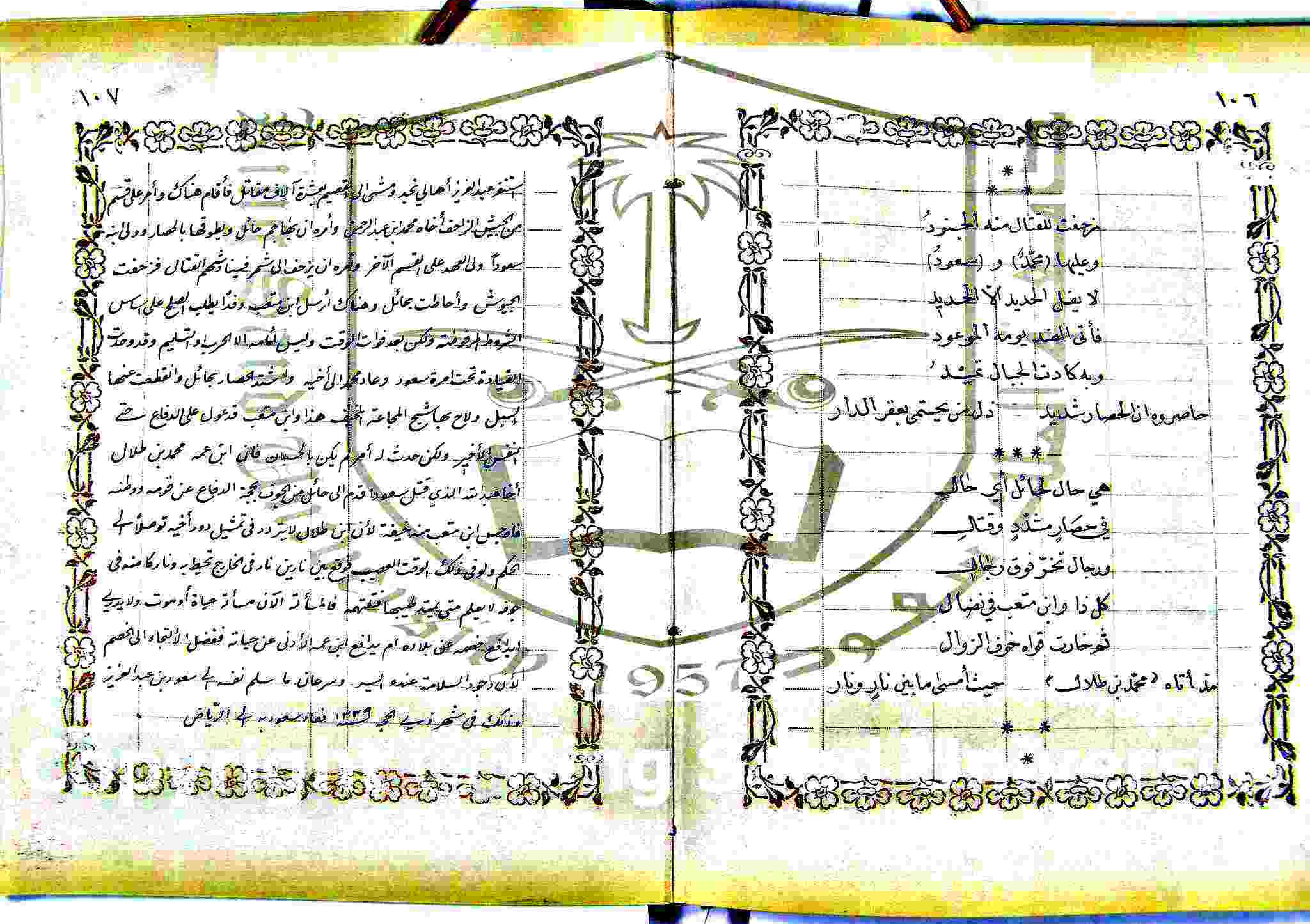
فشفاء لتلكم الامراض

موت أولى الخصمين بالانقراض

وانتهى الامر باستلال المواضي — أعلنوا الحرب ثم بالاشهار

* *

بعد أن تربع عبدالله بن متعب على منصة الحكم أرسل رسلاً من قبله الى عبدالعزيز يخبره بولايته ويطلب تجديد الصلح بينهما ولكن عبدالعزيز يعلم انه صلح مؤقت تقصد منه اطالة الوقت الى ان يتم توطيد الأمور فان اليد التي كانت تدفع سعودا لاتزال قابضة على ناصية الحال وقد اصبحت عهود الصلح لاقيمة لها عند آل الرشيد فلم يعقد صلح الا لينقض وما خط القلم شيئاً الا ومحاه السيف في اليوم الثاني ولم تكن دسائس الشريف حسين ومعاهدته لسعود على محاربة عبدالعزيز ببعيدة العهد ولا يبعد ان يعود الحسين الى مفاوضة عبدالله المتعب لانه بعد وقعة تربة لم يعد يهدأ له بال لهذه الاسباب العديدة أجاب عبدالعزيز طلبهم الى الصلح ولكنه اشترط ان يكون لهم استقلالهم في ادارة شئون حائل وشمر وان لا تكون لهم صلات خارجية مع أي كان وان يرجعوا في شئونهم الخارجية الى عبدالعزيز نفسه واكثر شمر لم ير بأساً في اجابة تلك الشروط لأن في قبولها القضاء على تلك الفتن والحروب التي طال أمدها ولكن القابضين على شئون القصر رأوا في ذلك اهانة لعزتهم ولم تسمح نفوسهم ان يذعنوا وأصروا على بقاء حكمهم كما كان سابقاً ولم يجد عبدالعزيز بداً من حسم الخلاف بالسيف لتوحيد ممالك نجد والقضاء على حالة الفوضى القديمة فكان الرفض وتداعى الفريقان الى السلاح



* *

زحفت للقتال منه الجنودُ
وعليها (محمدٌ) و (سعودُ)
لا يفل الحديد إلا الحديدِ
فأتى الصد يومه الموعود
وبه كادت الجبال تميدُ
حاصروه ان الحصار شديد ذل من يحتمي بعقر الدار

* * *

هي حال لحائل أي حالِ
في حصارٍ مشددٍ وقتالِ
ورجال تخرّ فوق رجالِ
كل ذا وابن متعب في نضال
ثم خارت قواه خوف الزوال
هذا أتاه «محمد بن طلال» حيث أمسى ما بين نارٍ ونار

* *

استنفر عبد العزيز أهالي نجد ومشى الى القصيم بعشرة آلاف مقاتل فأقام هناك وأمر على قسم
من الجيش الزاحف أخاه محمد بن عبد الرحمن وأمره ان يهاجم حائل ويطوقها بالحصار وولى ابنه
سعوداً ولي العهد على القسم الآخر وأمره ان يزحف الى شمر فيناجزهم القتال فزحفت
الجيوش وأحاطت بحائل وهناك أرسل ابن متعب وفداً يطلب الصلح على أساس
الشروط المرفوضة ولكن بعد فوات الوقت وليس أمامه الا الحرب او التسليم وقد وحدت
القيادة تحت إمرة سعود وعاد محمد الى الأخيه واشتد الحصار بحائل وانقطعت عنها
السبل ولاح بها شبح المجاعة المخيف هذا وابن متعب قد عول على الدفاع حتى
النفس الأخير ولكن حدث له أمر لم يكن بالحسبان فان ابن عمه محمد بن طلال
أخا عبد الله الذي قتل سعوداً قدم الى حائل من الجوف بحجة الدفاع عن قومه ووطنه
فاحتبس ابن متعب منه خيفة لأن ابن طلال لا يتردد في تمثيل دور أخيه توصلاً الى
الحكم ولو في ذلك الوقت العصيب فوقع بين نارين نار في الخارج تحيط به ونار كامنة في
جوفه لا يعلم متى يمتد لهيبها فتلتهمه فإما أن الآن ما أن حياة أو موت ولا يدري
أيدافع خصمه عن بلاده ام يدافع ابن عمه الأدنى عن حياته ففضل الالتجاء الى الخصم
لأن وجود السلامة عنده أيسر وسرعان ما سلم نفسه الى سعود بن عبد العزيز
وذلك في شهر ذي الحجة ١٣٣٩ فعاد سعود به الى الرياض

* * *

فرَّ خوفَ القريبِ نحو البعيد

حين وافى مستلمًا لسعود

فتولى ابن عمه من جديد

بدفاع المستبسل المستديد

فأحاطوه بالحصار الشديد

فتكة الجوع فوق فتك الجنود — أنزلته من شاهق الأوكار

* * *

ثم راجع فهارس الأخبار — لأهالي الفتوح والانتصار

من قديم القرون والأعصار — في حروب دينية أو فخار

ثم أقصى تعطف الأخيار — منهم: العفو عن أهالي الدار

بعد إدراك غاية الأوطار

ثم قسهم بابن السعود الكريم — حين ذلت عداه بالتسليم

بعدما ذاق عسفهم من قديم — إذ تلقاهم بقلب سليم

وحباهم بكل نيل عميم — من جميع الملبوس والمطعوم

وهم بين جائع أو عاري

— تولى محمد بن طلال الإمارة وكان شجاعًا باسلًا إلى حد التهور وفيه شيء من خصال عبد العزيز المتعب فقام بأعباء الدفاع وقد تنفس نوعًا الرجل سعود عنه بابن متعب وخوفًا على الأهلة أن تموت لشدة القيظ فهاجم بعض القرى التي والت ابن سعود ونكل بأهلها وأكثر من العسف والفتك وخرج بجنوده إلى الجثامية على مقربة من حائل معسكرًا وكان عبد العزيز قد أمر فيصل الدويش أن يتوجه لمحاربة ابن طلال إلى أن يوافيه بمن معه من الجموع فالتقوا على الجثامية وانسحب ابن طلال بعد قتال شديد إلى حائل وفي غرة المحرم سنة ١٣٤٠ وصل عبد العزيز ومن معه إلى حائل وباشر القتال بنفسه وشدد الحصار عليها وقد طوقها من كل الجهات وكتب إلى أهل حائل ينذرهم ويأمرهم بالتسليم ولكن ابن طلال قابض على ناصية الحال بيد من حديد برغم كرههم له لشدة عسفه وطاحن سقوطهم منه أرسل إلى المستر بوسي كوكس المندوب السامي في العراق يرجوه أن يتوسط في الصلح بينه وبين عبد العزيز ولكن الأخير رفض كل مفاوضة بهذا الخصوص حتى اشتد الأمر على أهل حائل وكادوا يهلكون جوعًا فأسلموا عبد العزيز بالتسليم وقد دخلتها الجيوش الظافرة وبقي ابن طلال محاصرًا في القصر حتى أمنه عبد العزيز فنزل . ودخل عبد العزيز حائل في ٢٩ صفر سنة ١٣٤٠ دخول الفاتح الظافر وكان عليه أن ينكل بحائل وأهلها مثلما عملوه في الرياض منذ ثلاثين سنة حينما قطعوا النخيل ونكلوا بالناس أشد تنكيل والجزاء من جنس العمل ولكن عبد العزيز لم يكتف بالعفو أيضًا فقد دخلها وأباح لأهلها كل ما لديه من الطعام واللباس وفرقه عليهم وكان شيئًا عظيمًا ادخره للحصار فصيرهم بعد ما كادوا يموتون جوعًا وعريًا وأمسوا وهم في رغد وهذا عمل لم يذكر التاريخ شيئًا لأحد من الفاتحين منذ قديم الأزمنة حتى إذا استشار أهل حائل فيمن يوليه عليهم أميرًا فطلبوا أحد أبناء السعود ولكنه رفض قائلًا لا آمن أن أولي أحدًا منا عليكم لأن الجروح القديمة لم تندمل بعد وقد ولى عليهم إبراهيم بن سبهان أحد أفراد العائلة الرشيدية

آل الرشيد

١٢٤٦ — ١٣٤٠

صفحات مكتوبة من نار

كتبت وسط حائل بشفار

بسطور من الدماء الجواري

احمرار أسطراً باحمرار

فهي في بطن دفتر الاخبار

كل ما للرشيد من آثار   لاعتبار في كنهها وازدجار

* * *

(متعب) قد سقاه كأساً (حمود)

وتلاه (سلطان) ثم (سعود)

(فسعود العبد العزيز) الشريد

أخذت ثاره هناك العبيد

ذا قتيل وذا بذاك مقود

والاخير ابن متعب الموجود   في جوار المليك خير الجوار

كانت عائلة الرشيد امراء حائل بشبه شيء بالنار التي تأكل نفسها ولم يرو التاريخ تقاطعاً في الرحم مثلما روى عنهم بدأت امارتهم بعبد الله بن علي بن رشيد ولاه الامام فيصل على حائل سنة ١٢٤٦ ومات حتف انفه سنة ١٢٦٠ وخلفه ابنه طلال فقتل نفسه سنة ١٢٨٢ وبعده اخوه متعب فقتله بندر وبدر ابنا اخيه طلال سنة ١٢٨٥ فقتلهما عمهما محمد بن عبد الله سنة ١٢٨٨ وتولى بعدهما وثبت ولايته وحارب آل سعود حتى استحوذ على نجد كلها ومات حتف انفه سنة ١٣١٥ وخلفه عبد العزيز ابن اخيه متعب الذي قتل في روضة مهنا كما تقدم سنة ١٣٢٤ وحكم ابنه متعب فقتل مع اخويه مشعل ومحمد بسيف ابناء حمود العبيد سنة ١٣٢٤ ولم ينج الا اخوه الصغير سعود فر باخواله الى الحجاز فتولى سلطان الحمود العبيد فقتله اخوه سعود سنة ١٣٢٥ وحكم ثم قتل سنة ١٣٢٦ بمساعي آل سبهان الذين اعادوا ابن اختهم سعود بن عبد العزيز (شريد الحجاز) وكان من احواله ما تقدم ذكره حتى قتله عبد الله بن طلال سنة ١٣٣٥ وقتل معه وتولى عبد الله بن متعب الذي التجأ الى سعود بن عبد العزيز خوفاً من ابن عمه محمد بن طلال وهذا الاخير سلم نفسه لعبد العزيز لفتح حائل واعيد ذلك السيف البتار الى غمده مباشراً عمل حديه القاطعين في الرعايا والامراء على السواء وسطر في تاريخ الرشيد سطوراً من الدم حمراء ليس لهم سواها من اثر يذكر بعد ان تآمروا وحكموا اربعاً وتسعين سنة ودانت لهم نجد من دناها الى اقصاها الى في ذلك لعبرة لأولي الالباب والابصار. وبعدها انتقلت عائلة الرشيد الى الرياض وقد تولاها عبد العزيز بالرعاية والاكرام وبقي يعامل افرادها معاملة افراد آل سعود الذين لم تكن اكثر فاصبحوا في عيشة لم يروا مثلها أيام حكمهم وسيطرتهم المحدودة بالحروب والمغازي وقتل بعضهم بعضاً.

وقد يسعد الانسان بالعيش راغماً   ويلقاه في حال الشقاوة راضيا

أبها وآل عائض

إن أبها مدينة في عسير (بنيت) في حمى سعود الكبير

وتؤدي الزكاة للمأمور جعلوا (عائضًا) لها كأمير

وتولى بنوه ملك الأمور بالتوالي حتى الأمير الأخير

«حسن» حيث عاث بالأضرار

* * *

فشكاه إلى الإمام الأهالي فنهاه بألين الأقوال

فعصى جامعًا جموع القتال مستعزًا بشامخات الجبال

ووعود الحسين بالأموال ثم لما دهاه جيش النكال

لاذ من (حجلة) بذيل الفرار

* * *

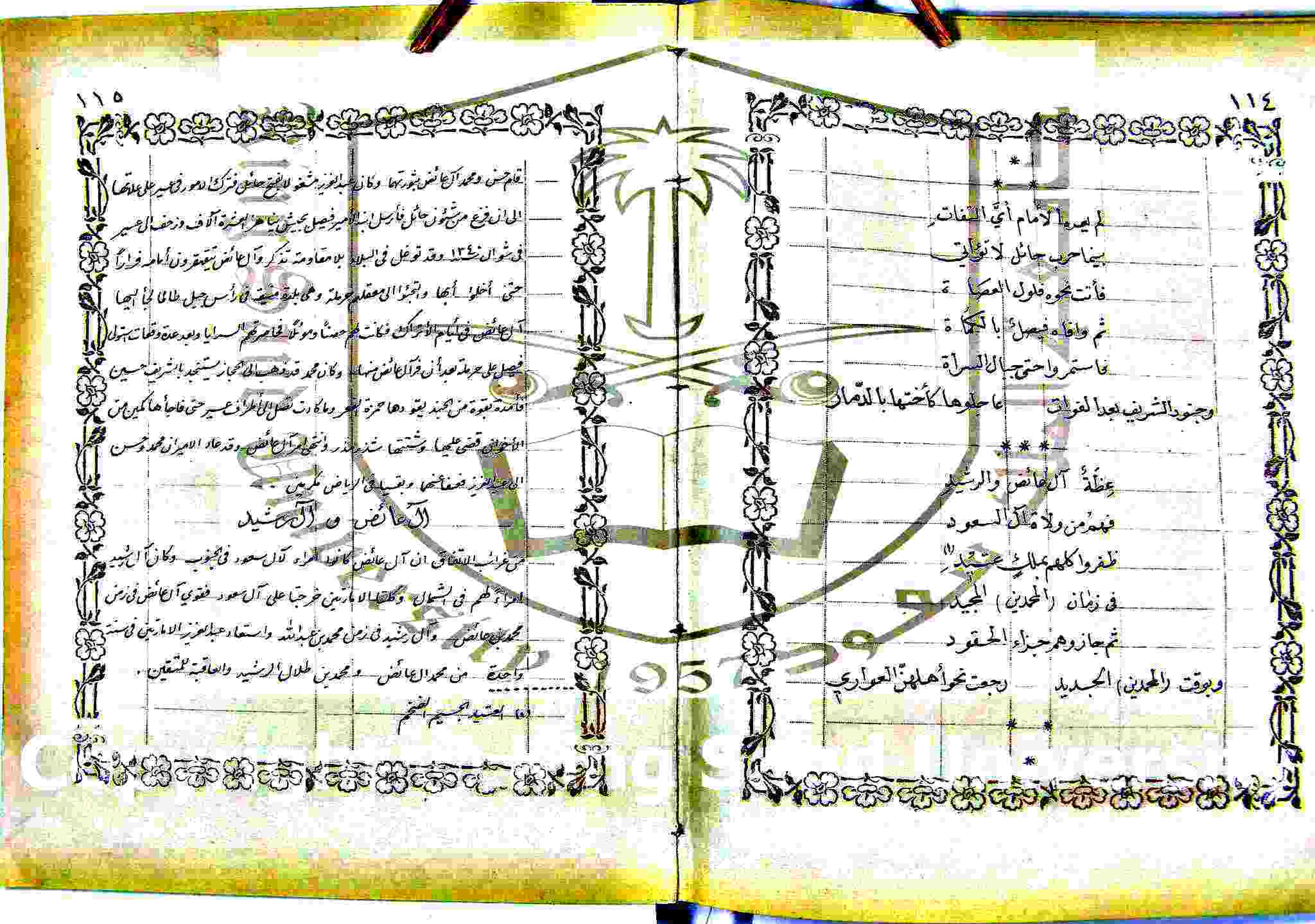
وأتى للأمير بالتسليم فحباه الإمام بالتكريم

ودعاه للحكم شأن الحكيم فأبى قانعًا بجود الكريم

أطلقوه بالعز والتعظيم فمضى هازئًا بحلم الحليم

ثائرًا عائدًا إلى الإنكار

عسير بين الحجاز واليمن في أعالي تهامة أراضيها جبلية شماء وعرة المسالك خصبة التربة وقاعدتها
أبها في أعلى جبل السراة بين واديي ضلع وشهران كانت تلك الولاية تابعة لآل سعود وتمذهب أهلها
بمذهب السلف وقد ولى سعود الكبير عليها عائض المريدي أميرًا من قبله سنة ١٢٢٨ ثم استقل بالحكم بعد وقائع الدرعية وتولى
بعده ابنه محمد الذي وطد أركان حكم آل عائض ووسع على البلاد المجاورة إلى أن قتله غدرًا أحد ولاة الترك
وبقي الحكم في آل عائض تحت حماية الأتراك إلى أن وقعت الحرب الكبرى فاستقل بالأمر حسن بن علي بن محمد بن عائض
بعد أن جلا الترك عنها وكان مستبدًا ظالمًا فشكاه أهالي عسير إلى الإمام عبد العزيز الذي يعتبرونه إمامهم
الشرعي فبعث إليه بوفد ينصحه ويأمره باتباع الرفق واللين فما كان منه إلا أن رد الوفد ردًا سيئًا
فأرسل إليه عبد العزيز ابن عمه عبد العزيز بن مساعد بن جلوي بألفين من الجيش وأمره أن يدعو حسنًا بالتي هي أحسن
وأن يعيده إلى ما كان عليه آباؤه الأولون ولكن حسنًا قابله بالجموع مستعدًا للحرب فكانت وقعة (حجلة)
فانهزم حسن بن عائض وصاحب عمه محمد واستولى عبد العزيز بن مساعد على أبها وكافة جبال عسير وعاد
الأميران إليه مستسلمين فاستصحبهما معه إلى الرياض وعاهدا عبد العزيز على السمع والطاعة وأكرمهما غاية الإكرام
وعرض على حسن إمارة عسير فاستعفى بحجة الضغائن التي بينه وبين قومه فأجرى له الرواتب وأعاده إلى بلاده مكرمًا
وكانت حرملة بلدته الأصلية فذهب إليها وعصى وجهز قوة حمل بها على أبها فاستولى عليها وقبض على أميرها
وكان الشريف حسين قد مد حبائله في عسير وأرسل إلى قبائل شهران وغيرها فحثها على الانضمام إلى حسن وسلحها
ومدها بالذخائر والأموال فتفاقم الأمر وأعلن حسن العصيان ضاربًا بعهوده عرض الحائط



*

* *

لم يعيروا الإمام أيَّ التفاتِ

بينما حربُ حائلٍ لا تواتي

فأتت نحوه فلول العصاة

ثم وافاه فيصلٌ بالكماة

فاستمر واحتمى جبال السراة

وجنود الشريف بعدا لغزوات عاجلوها كأختها بالدمار

* * *

عظةٌ آل عائض والرشيد

فهمُ من ولاة آل السعود

ظفروا كلهم بملكٍ عتيد[1]

في زمان (المحدين) المجيد

ثم جازوهم جزاء الحقود

وبوقت (المحدين) الجديد رجعت نحو أهلهنّ العواري[2]

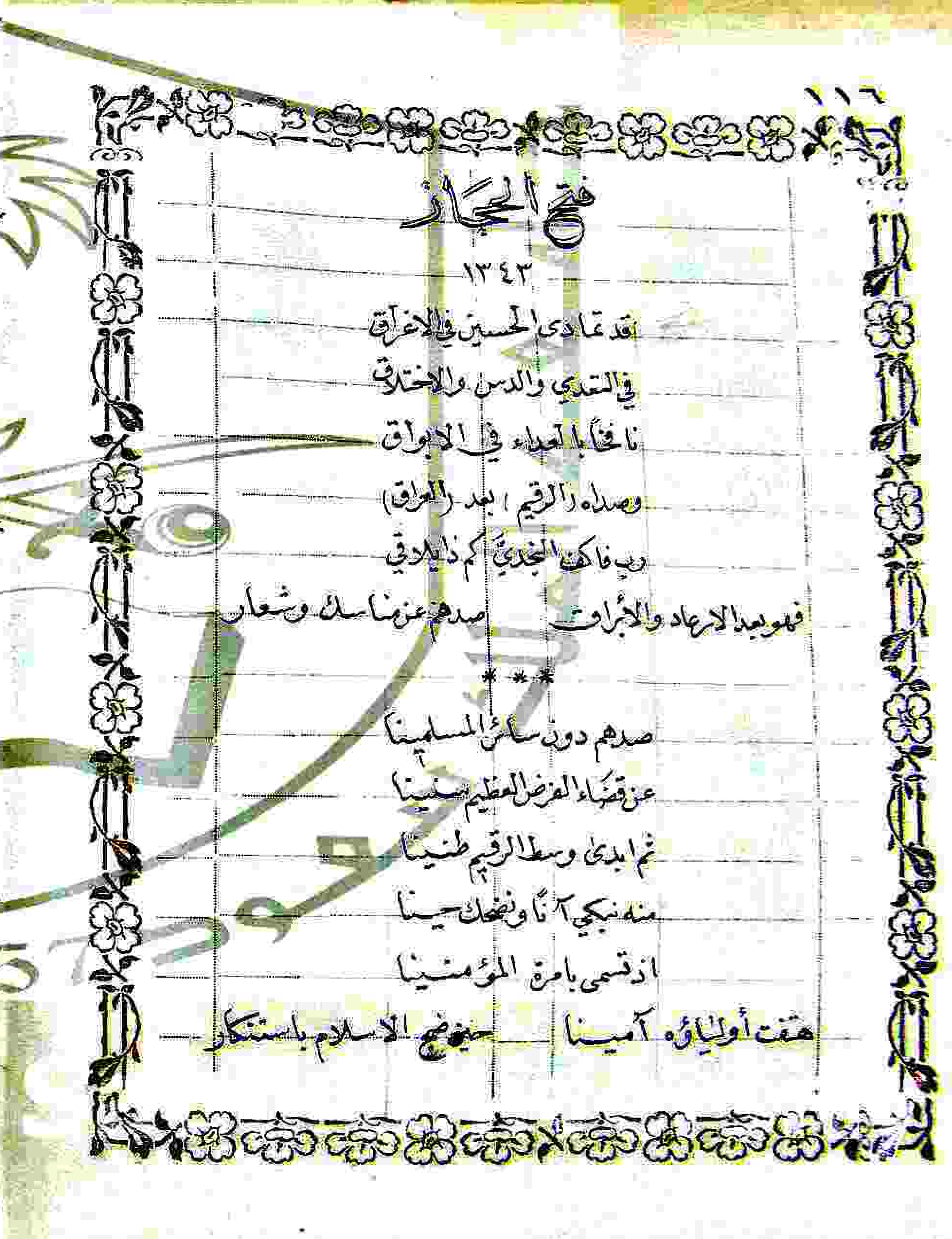
* *

قام حسن ومحمد آل عائض بثورتها وكان عبد العزيز مشغولاً بفتح حائل فترك الامور في عسير على علاتها الى ان فرغ من شئون حائل فأرسل ابنه الامير فيصل بجيش يناهز العشرة آلاف وزحف الى عسير في شوال سنة ١٣٤٠ وقد توغل في البلاد بلا مقاومة تذكر وآل عائض يتقهقرون أمامه فراراً حتى أخلوا أبها والتجأوا الى معقلهم حرملة وهي بلدة منيعة في رأس جبل طالما لجأ اليها آل عائض في أيام الأتراك فكانت لهم حصناً وموئلاً فحاصرتهم السرايا وبعد عدة وقعات استولى فيصل على حرملة بعد أن فرّ آل عائض منها وكان محمد قد ذهب الى الحجاز يستنجد بالشريف حسين فأمده بقوة من الجند يقودها حمزة الغر وما كادت تصل الى اطراف عسير حتى فاجأها كمين من الأخوان قضى عليها وشتتها شذر مذر وانتهى أمر آل عائض وقد عاد الاميران محمد وحسن الى عبد العزيز فعفا عنهما وبقيا في الرياض مكرمين .

آل عائض وآل رشيد

من غرائب الاتفاق ان آل عائض كانوا امراء لآل سعود في الجنوب وكان آل رشيد امراء لهم في الشمال وكلتا الامارتين خرجتا على آل سعود فقوي آل عائض في زمن محمد بن عائض وآل رشيد في زمن محمد بن عبد الله واستعاد عبد العزيز الامارتين في سنة واحدة من محمد آل عائض ومحمد بن طلال الرشيد والعاقبة للمتقين .

(1) العتيد الجسيم الضخم



فتح الحجاز

١٣٤٣

قد تمادى الحسين في الاغراق
في التعدي والدس والاختلاق
نافخاً بالعداء في الابواق
وصداه (الرقيم) بعد (العراق)
رب فاك النجدي كم ذا يلاقي
فهو بعد الارعاد والابراق   صدهم عن مناسك وشعائر

* * *

صدهم دون سائر المسلمينا
عن قضاء الفرض العظيم سنينا
ثم ابدى وسط الرقيم طنينا
منه نبكي آناً ونضحك حينا
اذ تسمى بامرة المؤمنينا
هتفت أولياؤه آمينا   حين ضج الاسلام باستنكار

منذ لقا هذا الحسين مع الانكليز على الثورة ظل يحسب البلاد العربية تابعة له ومن جملتها نجد وابن سعود وتجاهل ان الانكليز اعطوه ما لا يملكون ومن جملة الوسائل التي اراد ان يثبت بها سلطته على نجد ان ارسل في ابان الثورة عدة صرر من الاموال المرصودة لمساعدة رجال الثورة الى عبد العزيز ولم يكتب معها كلمة ولا استفهم عبد العزيز منه اجابه (هل انت سكران وما عندك عقل) اي كأنك لم تفهم انك من اتباع الحكومة الهاشمية وهذه هي المرتبات . وفي الاخير كشف القناع وجهز الحملة التي تقيد الفطر في الخرمة والتجأ الى الاحساء فقضت عليها وقعة تربة ولما خاب امله في الدسائس فاستفز ابن رشيد وحضض آل عايض واوعز الى ابنيه في العراق وشرق الاردن (الرقيم) انه يحرضا القبائل الموالية لهما على غزو البلاد النجدية فاقلق راحة ابن سعود من كافة الجهات ولم يترك وسيلة الا لجأ اليها هذا وابن سعود يقابل اعماله بالسكوت والمجاملات الودية ولا يقابل منه الا بالرد الشنيع والازدراء فضلا عن اضطهاده لكل ما هو نجدي في بلاد الحجاز ومن اكبر الجرائم عنده ان يحدث احد عن نجد وبذلك هم الاخوان الذين يمقته اشد المقت وطالما اتهمهم بما تنطوي عليه نفسه في مقالاته التي تنشرها الجريدة القبلة ولم يكتف حتى منع اهل نجد عن الحج وقضاء ذلك الركن الركين من الاسلام فصدهم عن سبيل الله وبيته كأنه ملك له يفتحه لمن يشاء ويصد عنه من يشاء وقد ضاق اهل نجد بما يجده ونكل عهد وعبد العزيز يسكنهم ويعدهم بحسم الامور بالوسائل السلمية قبل الالتجاء الى امتشاق الحسام وفي سنة ١٣٤٢ ذهب جلالته الى فلسطين وشرق الاردن وهناك اوعز الى طغمته وانصاره ان يبايعوه بالخلافة العظمى ليجعلها حجة في اخضاع ابن سعود وغيره من امراء العرب ولكنه جنى على نفسه فغضب العالم الاسلامي اجمع وعجل في القضاء على مملكته الوهمية وعلى نفسها جنت براقش .

قد أعاد التاريخ سرد الفصول

اذ سهيل يبغي وحلم الرسول

حيث لاقى العدى بصبر جميل

فأطاع العزيز حكم الذليل

ان حذا الامام غير كليل

حين لاقى بالحلم عسف الجهول   وربوع الكويت خير قواري[1]

* * *

بلغ الامر غاية الارتفاع

وانتهى الاجتماع بالانقطاع

ومن العدل كيل صاع بصاع

* * *

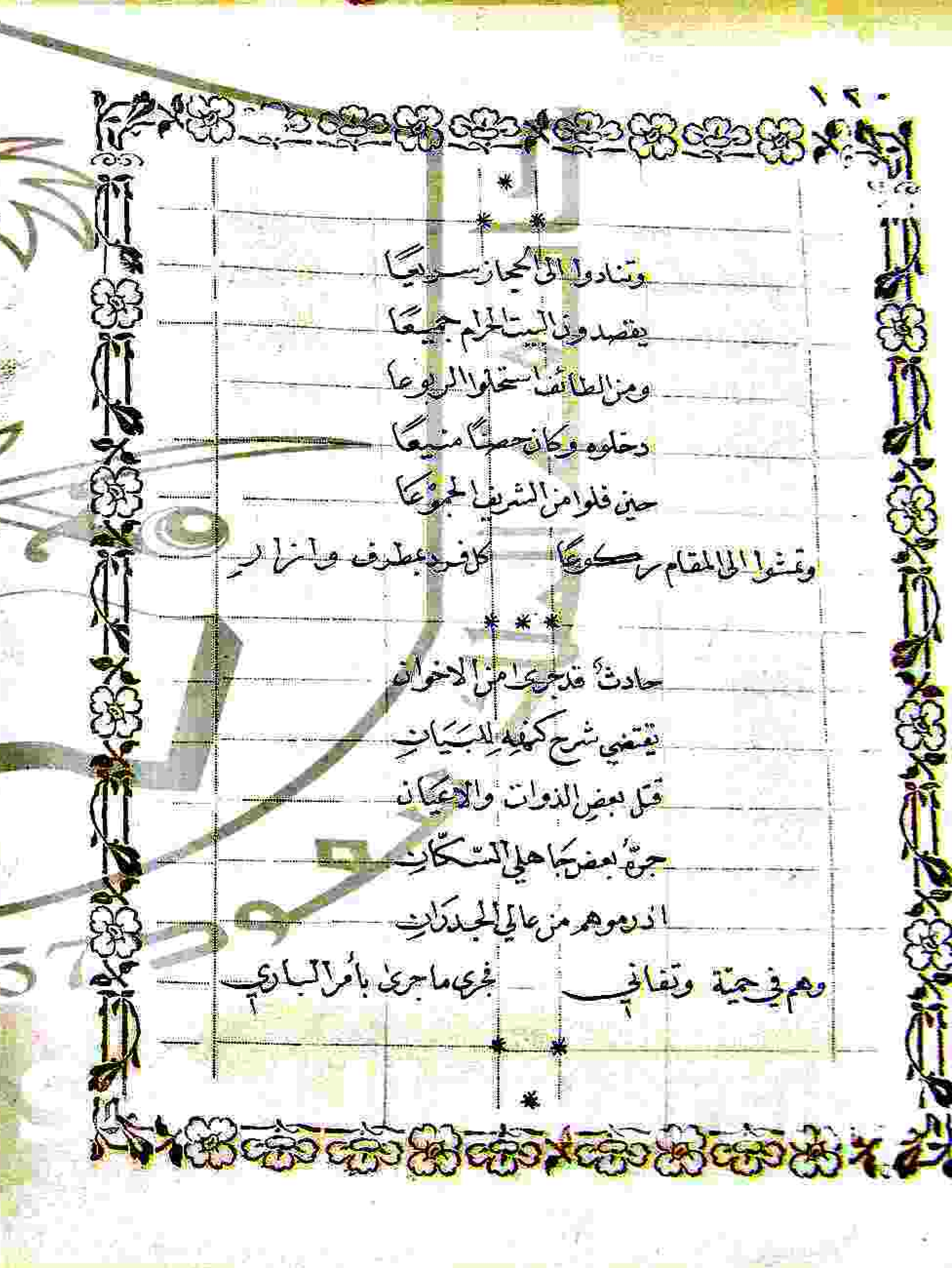
اذ تنادى الاخوان للاجتماع

فى ذرى الوالد الامام المطاع

قد دهانا ما ليس بالمستطاع   كم تمادى فى ديننا وندارى

(١) القوارى الشهود

طاشت مؤتمر الكويت بمؤتمر صلح الحديبية الذى الضعيف فيهما على ارادته على القوى فيقبل وما
أشبه موقف مندوبيه بموقف سهيل بن عمرو فى تعنته ولجاجته ولكن تلك النتيجة فقد كانت واحدة
هي فتح مكة وبين الفتحين ثلاثة عشر قرناً وثلث . لم يرد عبدالعزيز ان يقدم على اشهار الحرب على
الشريف الا بعد ان يعلن للملأ كافة موقف الحسين السلبي نحوه ففي سنة ١٣٤٢ قبل دعوة الحكومة الانكليزية
لعقد مؤتمر فى الكويت برئاسة مندوبها فى الخليج الفارسي الكولونل نوكس لفض الخلاف بين حكومة نجد وحكومات
الحجاز والعراق وشرق الاردن أي بين عبدالعزيز والحسين وأولاده ولكنه اشترط مبدئياً ان لا يتداخل وفد
اي حكومة من الحكومات الثلاث فى المباحث مع غيرها وقبل ذلك الشرط وعليه انعقد المؤتمر فى الكويت ولم يرسل
الحسين مندوباً عنه واصر على الجلاء عن تربة والخرمة قبل المفاوضات وكاد الاتفاق يتم بين نجد والعراق لولا
ان الوفد العراقي خالف الشرط المبدئي وعلق نفوذ معاهدة بالاتفاق بين نجد والحجاز اما وفد شرق الاردن
فكان موقفه موقف غليوم فى قصر وسايل سنة ١٨٧٠ فلم يكتف بالمطالبة بالجوف وقريات الملح بل اشترط ارجاع امارتي
آل الرشيد وآل عائض والتنازل عن تربة والخرمة برغم طلب الوفد النجدي استفتاء اهل تينك البلدتين وخاض
الوفد فيما يعنيه وما لا يعنيه وكانت الغارات لا تزال تشن من قبائل العراق على القبائل النجدية فأجل المؤتمر وعاد
للانعقاد ثانية فاذا الوفود أصلب مما كانت قبلاً ومن رام الوقوف على مطالب نجد العادلة وتعنتات العراق
وشرق الاردن فليرجع الى الكتاب الأخضر النجدي . عندها عاد عبدالعزيز من الأحساء الى الرياض وانعقد
برئاسة الامام عبدالرحمن مؤتمر من الاخوان والعلماء وتباحثوا فى الحالة الراهنة وموقف الشريف السلبي تجاه نجد



* *

وتنادوا الى الحجاز سريعًا

يقصدون البيت الحرام جميعًا

ومن الطائف استحلوا الربوعا

دخلوه وكان حصنًا منيعًا

حين فلوا من الشريف الجموعا

وعشوا الى المقام ركوعًا   كل فرد بطرف وإزار

* * *

حادث قد جرى من الاخوان

يقتضي شرح كنهه للبيان

قتل بعض الذوات والاعيان

جرّه بعض جاهلي السكان

اذ رموهم من عالي الجدران

وهم في حمية وتفاني   فجرى ما جرى بأمر الباري

* *

ألح الاخوان في مجتمعهم بطلب الحج في ذلك العام فقد طال الانتظار وعجزت الوسائل السلمية عن حل الخلاف وارضاء مطالب الحسين ولم يبق الا الحج بالقوة لأنهم قادرون على ذلك وبعد الأخذ والرد وتبادل الآراء بين الجميع قر القرار على غزو الحجاز والحج بالقوة ليقضي الله أمرًا كان مفعولا فحشدت جنود الاخوان وعددها نحو ثلاثة آلاف مقاتل وهي بقيادة الشريف خالد بن منصور بن لؤي وسلطان ابن بجاد ثم توجه للحجاز وفي غرة صفر سنة ١٣٤٣ وصلت طلائعها الى الحوية بقرب الطائف وهناك انتبهت حكومة الحسين لأمر لم تحسب له حسابًا قبل ذلك الحين وكانت تظن نفسها قادرة على اخضاع كل أمير عربي لسيطرتها فهبت قواتها من الجنود النظامية للدفاع عن الطائف وما هي الا جولات حتى ولت الأدبار واتجهت في هضبات الطائف للدفاع ولكنها لم تتمكن من ذلك وجاء الأمير علي بن الحسين بسرية فدخل الطائف وخرج منها العسكر بالهدى وتبعه أمير الطائف الشريف شرف عدنان وبعض من الضباط ودخلها الاخوان فجر يوم ٧ صفر ولم يخل جيش الاخوان من جموع البدو والذين انضموا الى الجيش الزاحف بغية النهب والسلب وقد دخلها طلائع الجيوش قبل الأمراء فأخذوا في قتل من يقاومهم وتطاير الرصاص في الشوارع فقتل من أصابه وكانت حادثة الطائف المشؤومة التي قتل فيها السيد الزواوي وبعض الأعيان وكان الاخوان اذ ذاك لا يميزون بين رفيع ووضيع وقد حلوا دخول الطائف المختصر ولم تخل الطائف من سفهاء اخذوا يرمونهم من نوافذ البيوت فزادوا الطين بلة وجعلوهم يقابلون الفعل بمثله فدخلوا بعض البيوت وجرى ما جرى منهم والليل مخيم واختلط الحابل بالنابل وكانت ساعة هول حتى دخل الامراء البلد صباح السبت وأمنا الناس

*

* *

دخلوها ليلاً بغير أميرِ ... وهي الحرب ربّة التدميرِ
فرآها العداة للغدرِ ... فرصةً تستفاد للتنفيرِ
هذه حائل برغم الثغورِ ... بينهم عوملت بخيرٍ وفيرِ
وتغاضوا عن كل حقدٍ وثارِ

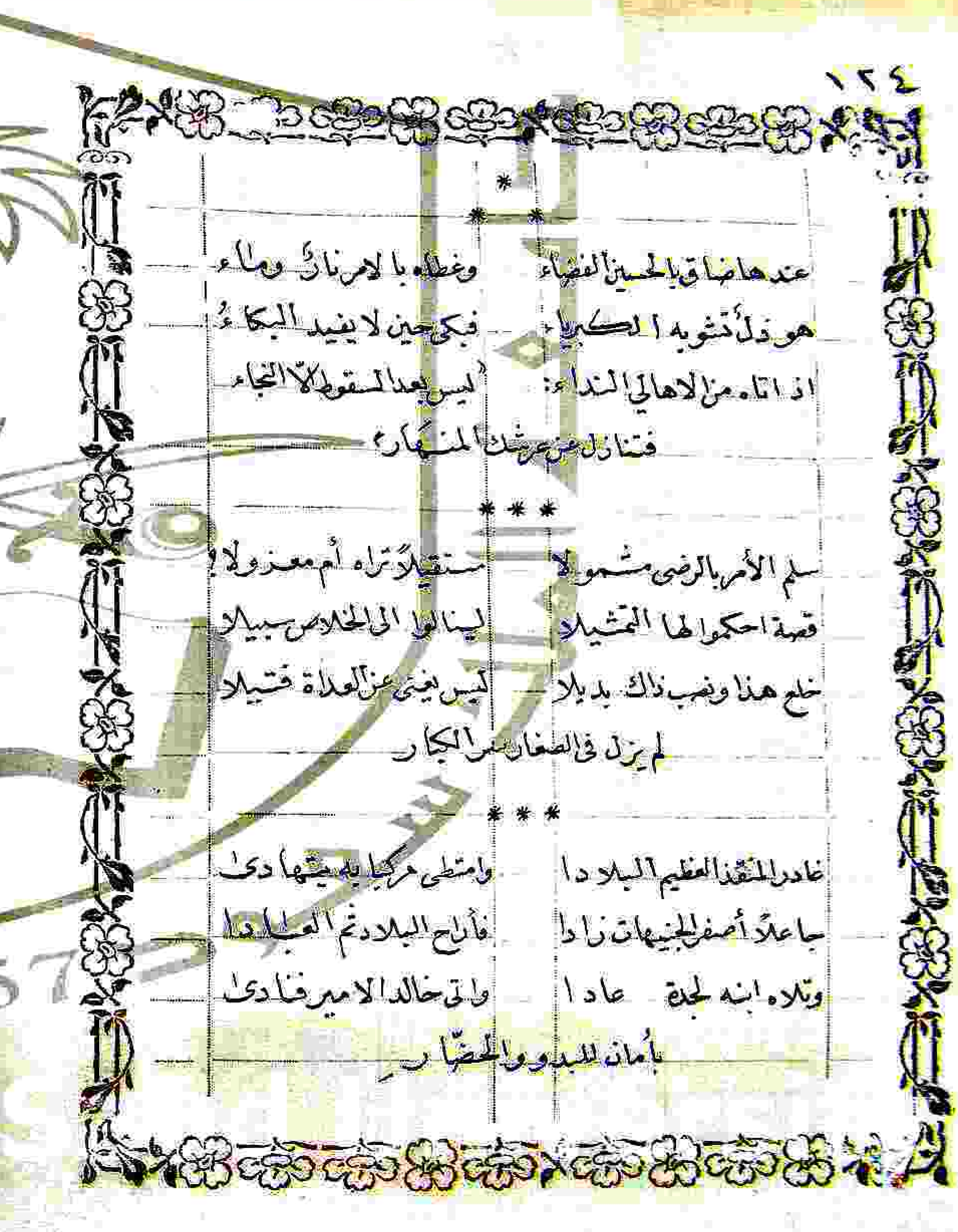
* * *

وأتى جيش (خامس الدرجات)!؟ ... زاحفًا نحو مكةٍ بثبات
وعليٌ أتاه من عرفاتِ ... زاحفًا للهدى لصد الغزاة
سيوالي الدفاع حتى الممات ... فثنى العزم منه حب الحياة
زاهدًا في غمار (تاج الغار)

* * *

ومضى نحو جدةٍ باضطرابِ ... يبتغي رتق بالي الأثواب
ان تعجب فاعجب لامرٍ عجاب ... فالحجاز المحكوم بالارهاب
أمةٌ ذات سلطة وانتخاب ... قررت خلع صاحب الالقاب
وتولى ابنه بذاك القرار!!!

والحروب لا شك عمياء لا بد لها من ضحايا خصوصًا متى دخل الهاجمون في الليل على ان دعاة البيت الهاشمي اتخذوا حادثة الطائف آلة للتشهير بعدوهم واخذوا يصفون فظائعها وأهوالها ولو كان امراء الجيش حاضرين لما وقع شيء من ذلك ولسنا بحاجة الى عظيم دليل فقد كانت أقرب الى ان ينالها التخريب والتقتيل لما بين الحسين من الثارات والضغائن القديمة كما تعلم وبعد رجوع فلول المنهزمين الى مكة تشجع الحسين فجهز جيشًا مؤلفًا من ألف وثلاثمائة مقاتل من جنود نظاميين وبدو وبعض أهالي مكة فعسكروا في الهدى بقيادة الأمير علي وهناك وافاهم الأخوان وجرت معركة كبيرة انكسر فيها عسكر الأمير وبرغم توالي الهزائم والانكسارات أعاده والده بسرية أخرى وقد صمم على الفوز او الموت ولكنه في الأخير آثر الحياة وفر الى جدة خوفًا من ان يعيده والده وترك الطريق مفتوحًا للهاجمين وقد توقف الأخوان عن التقدم احترامًا للبيت الحرام ولانهم تبعوا الأمير علي في انهزامه لدخول جدة بسلام وقد نزح كثير من وجهاء مكة وأعيانها بعد وقعة الهدى الى جدة وهناك اجتمعوا بالأمير علي وبعد الأخذ والرد اتفقوا على أن يتنازل الحسين عن عرشه وان يتولى علي تسيير المفاوضة مع ابن سعود للتفاهم وهكذا بين بكرة وعشية اصبحت المملكة الحجازية المحكومة بالارهاب والاستبداد امة ذات كيان تطالب عاهلها المستبد الجبار ان يتنازل عن عرشه ليتولاه ابنه فأتاه تلغراف من مجلس الأمة بجدة يخبره فيه بما تم ويطلب منه ان يتنازل وقد أجاب على ذلك وقبل ان يتنازل بشرط ان لا يتولى بعده احد ابنائه ولم يقصد بذلك الا الايهام والتمويه لأن المسألة متفق عليها ليكون الملك الجديد خاليًا من المسؤوليات التي سيحاسب بها ابن سعود على ان عبد العزيز لم تنطل عليه الحيلة فعلي هو الحسين



* *

عندها ضاق بالحسين الفضاء | وغطاه بالامر نارٌ وماء
هو ذل أتشويه الكبرياء | فبكى حين لا يفيد البكاءُ
اذ اتاه من الاهالي النداء: | «ليس بعد السقوط الا النجاء
فتنازل عن عرشك المنهار»

* * *

سلم الأمر بالرضى مشمولا | مستقيلاً تراه أم معزولا؟
قصة احكموا لها التمثيلا | لينالوا الى الخلاص سبيلا
خلع هذا ونصب ذاك بديلا | ليس يغني عن العداة فتيلا
لم يزل في الصغار من الكبار

* * *

غادر المنقذ العظيم البلادا | وامتطى مركبا به يتهادى
جاعلاً أصغر الجنيهات زادا | فأراح البلاد ثم العبادا
وتلاه ابنه لجدة عادا | واتى خالد الامير فنادى
بأمان للبدو والحضار

قبل الحسين ان يتنازل عن عرشه العظيم وتمت البيعة لابنه علي على ان يكون ملكا دستوريا على الحجاز فقط وان يكون للبلاد مجلس نيابي وقانون اساسي تضعه جمعية تأسيسية وان تتشكل هيئة موقتة لادارة اعمال الحكومة وبعد هذا بالبقاء على كتاب الله وسنة رسوله ايضا ولكن الحسين في حالة ضيقة ارسل احتجاجا الى ملك ... طيه يحفظ فيه حقوقه لاستعادة الحكم الاستبدادي اذا استعيد الحجاز فقد قال في احتجاجه ان العمل بالحكومة الدستورية في الحرمين يخالف لاحكام كتاب الله وسنة رسوله كما انه احتج على تحديد نفوذ الحجاز وحصره في دائرة التي هي ضيقة في نظر جلالته بعد ان كان يؤمل ملك البلاد العربية كلها . ولنا قطعة من قصيدة نشرت ابان الحرب الحجازية عنوانها (جوقة تمثيل)

دولة في شبابها مستجدة | ما تعدى نطاقها سور جدة
ونصيب الدستور فيها مليكٌ | فوقه تاج دولة مستبدة
وطرف في نطاقها برلمان | ومتى شاء فرصةً صار جندة
ولها في محيطها وزراء | من نفوس البلاد اكثر عدة

وبعد مبايعة علي بالملك توجه توا الى مكة وفي اليوم التالي غادرها صاحب الجلالة الهاشمية وقد استصحب معه عدة صفائح مملوءة ذهبا الى جدة ومنها ودع ذلك الملك العظيم وتلاشت أمام عينيه تلك الأحلام كلما ابتعدت عنه شواطئ الحجاز وهو على يخته الرقمتين وعاد الملك علي الى جدة على اثر أبيه لعد أن تأكد ان الدفاع عن مكة عقيم الفائدة لذهاب الجند وتمزقه شذر مذر وفي ١٨ ربيع الاول سنة ١٣٤٣ دخل خالد بن لؤي بالاخوان الى مكة وهم محرمون وبعد ان طافوا وسعوا استولوا على البلد الحرام ونادوا فيه بالأمان

*

* *

دخل القائدان مكة لكن … بقيا لم يحركا أي ساكن

بيد أن الارجاف ساد الاماكن … وعلي يكاد يُخلي المساكن

ومن الخوف قد أعدَّ السفائن … أَلهيفٌ بين الزنادين كامن ؟

ام هدوءٌ ينبيك بالإعصار ؟

* * *

أرجف المرجفون بالأنباءِ … فأُصيب الشريف بالبرحاء

بين خوفٍ ينتابه ورجاءِ … وانتظار البلاء نفس البلاءِ

ثم بث الدعاة في الأرجاءِ … مستغيثاً بسائر الكبراءِ

يطلب الصلح خاضعاً بصغار

* * *

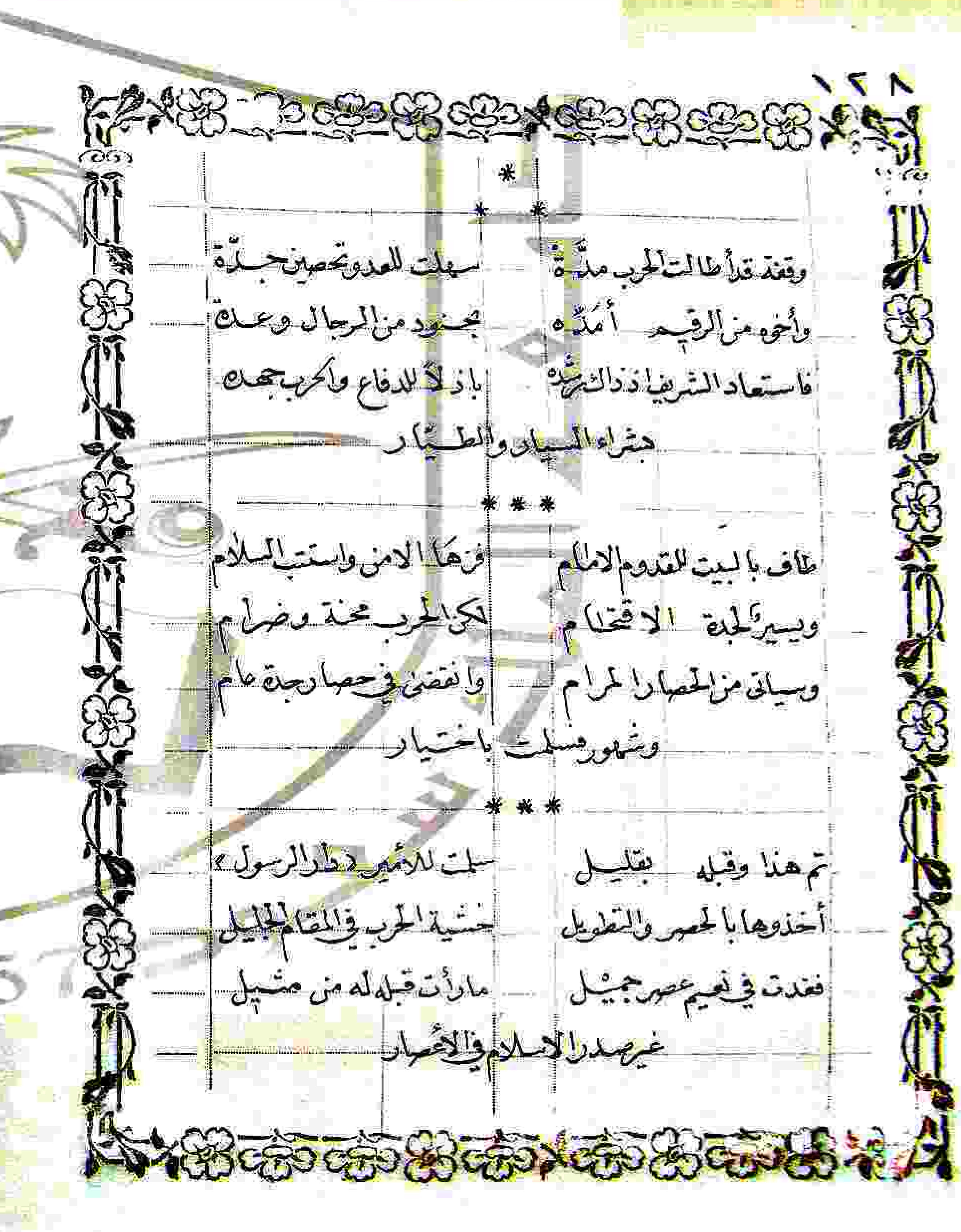
حاول الجبر بعد كسر الزجاج … لا يلين القضيب بعد اعوجاج

أو تُلاقي الجيوشَ بالاحتجاج … فهمُ موقدون نارَ الهياج

ثم جاد الامام بالمنهاج … وهو يقضي عليه بالاخراج

وعلى المسلمين بالاختيار

حلالاريب في ان حادثة الطائف أضرت بابن سعود اكثر فهي السبب الوحيد الذي جعل القيادة تتأخر عن احتلال جدة في الوقت المناسب فان عبد العزيز امرها أمراً بالتوقف لئلا يأتي محاذراً ان تجري حادثة اخرى من نوعها فقد دخل خالد وسلطان مكة وبقيا لم يحركا ساكنا وأتاهما وفد باسم أهالي جدة للمفاوضة في الصلح فاشترطا خروج علي من الحجاز ولكن الوفد عاد ولم يصنع شيئاً وأهالي جدة يتوقعون قدوم الاخوان صباحاً ومساء ولو تقدمت سرية واحدة الى جدة لاستلمتها بدون مقاومة تذكر وانتهى أمر الحسين وأولاده بسلام وكان علي نفسه مزمعاً على السفر ولكنه لم يرَ ان يغادر جدة قبل ان يتقدم الاخوان اليها وعمد الى الاستغاثات والمفاوضات وقد أبرق الى عبد العزيز يطلب الصلح ويقترح عقد مؤتمر يتمم اعمال مؤتمر الكويت ويشترط جلاء الجيوش النجدية وقد أجاب عبد العزيز بان الحجاز ليس ملكا للحسين وأولاده فيجب أولاً ان يتنازل علي عن مملكته الجديدة المصطنعة ويترك الحجاز لرأي العالم الاسلامي ليبت في مصيره فانه صاحب الحق في اختيار من يتولى الحجاز وينظم أموره ولم يكتف علي بذلك بل أبرق الى جمعية الخلافة في الهند والى المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين اما جمعية الخلافة فكانت على رأي ابن سعود وتناصره وكانت من القديم تعادي الحسين وأولاده وتعتبرهم من الخوارج على عرش الخلافة العظمى ايام سلاطين آل عثمان واما المجلس الاسلامي الاعلى فقد توسط رئيسه بالصلح ولكن توسطه جاء متأخراً وطلب عبد العزيز ان يوكل الامر الى مؤتمر العالم الاسلامي واصدر علي في جدة جريدة سماها بريد الحجاز حاول ان ينشر بها دعوته ولما وصل الحسين الى العقبة اخذ يجند الجيوش من شرق الاردن بتوسط ابنه عبد الله



* * *

وقفة قد أطالت الحرب مدة ... سهلت للعدو تحصين جدة
وأخوه من الرقيم أمده ... بجنود من الرجال وعدة
فاستعاد الشريف إذ ذاك رشده ... باذلاً للدفاع والحرب جهده
بشراء السلاح والطيار

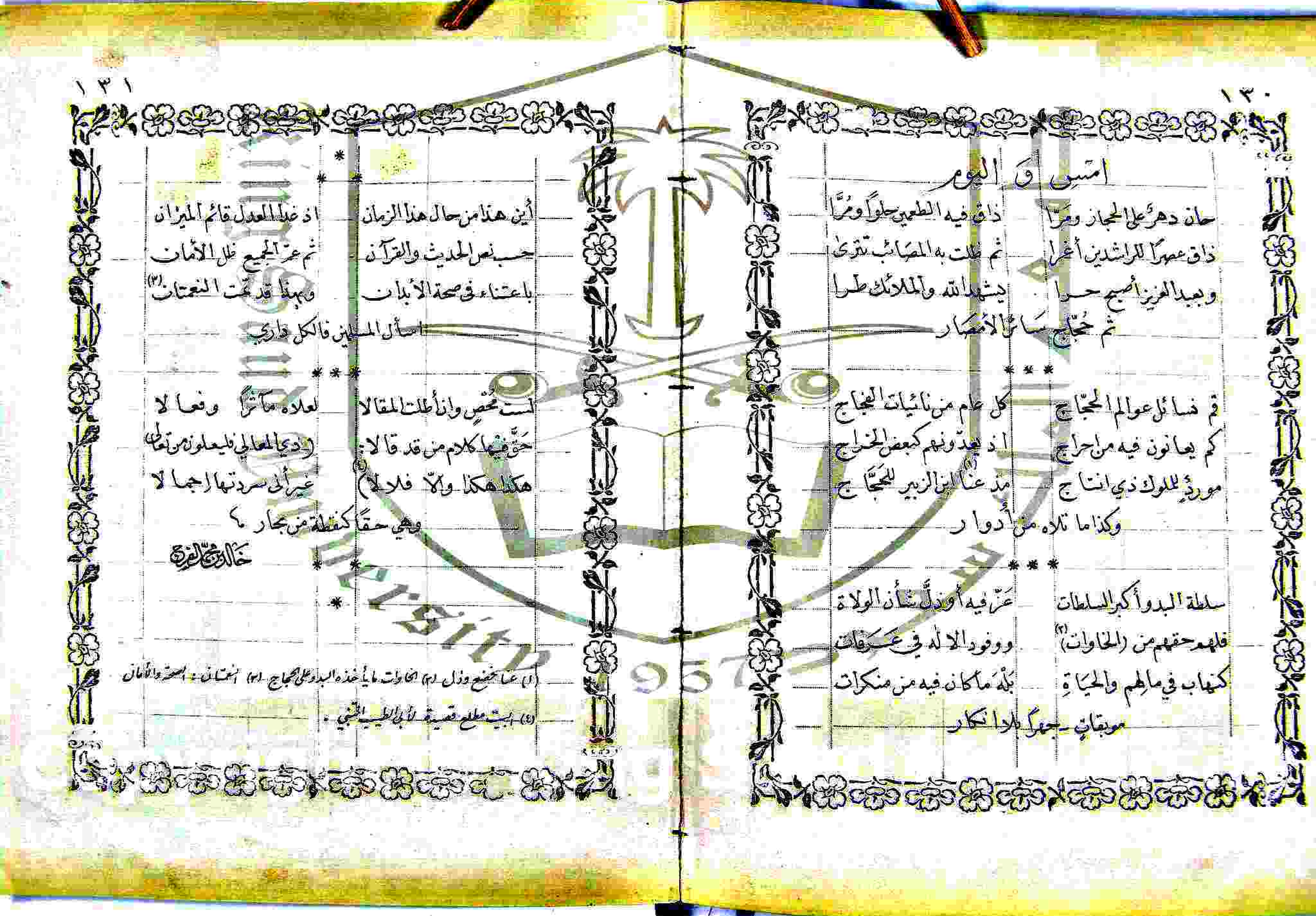
* * *

طاف بالبيت للقدوم الامام ... فزها الامن واستتب السلام
ويسير الجدة لا اقتحام ... لكن الحرب محنة وضرام
وسيأتي من الحصار المرام ... وانقضى في حصار جدة عام
وشهور فسلمت باختيار

* * *

ثم هذا وقبله بقليل ... سلمت للأمير دار الرسول
أخذوها بالحصر والتطويل ... خشية الحرب في المقام الجليل
فغدت في نعيم عصر جميل ... ما رأت قبله له من مثيل
غير صدر الاسلام في الأعصار

جاءت النجدة الاولى الى جدة على الباخرة رضوى وهي مؤلفة من أربعمائة جندي بقيادة تحسين باشا الفقير فسكن بها اضطراب علي نوعًا وقوي ظهره وتوالت الامدادات بعدها وقد حصل من توقف الاخوان على فرصة حسنة فاستعد للحصار وعد خطًا للدفاع أحاط بجدة من البحر للبحر طوقه بالأسلاك الشائكة وبث فيه الألغام واستعد بالدبابات والطيارات حتى خيل اليه انه في استعداد تام للدفاع بل أخذ يتحدث بالهجوم واسترجاع مكة وفي أواخر ربيع الثاني قدم عبد العزيز الى مكة وكان مصرًا على اخراج علي واخضاع أي العالم الاسلامي وعلى الارضى بالتنازل وترك الحجاز خصوصًا بعد ان حصل على تلك الامدادات من أبيه وأخيه وقد أخذت تتوالى فالقول الفصل اذن للسيف ولم يكن اقتحام جدة عسيرًا على الأخوان ولكن عبد العزيز رأى ان خير وسيلة لفتحها مطاولتها بالحصار نظرًا الى من فيها من الأجانب وتناصل الدول وحلول موسم الحج فبذل كل جهده لمنع الناس بالدعوة في الاقطار الاسلامية وبالفعل عن طريق جدة وبرغم ذلك فقد حج خلق كثير عن طريق رابغ والليث والقنفذة . زحفت الجنود النجدية الى جدة حيث طوقوها بالحصار وتجاوبت المدفعيات وجرت وقعة المصفحات التي جرب فيها علي قوته فانكسرت شر كسرة ولم يقدر الى الخروج بعدها وفي الأخير اضطر الى التسليم والتنازل وغادر جدة الى العراق في ٦ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ مستصحبًا معه أشياءه الخاصة وكان عبد العزيز قد أرسل قوة بقيادة الدويش وأمرها ان تحاصر المدينة المنورة وان لا تهاجمها وقد دام حصارها عشرة أشهر وسلمت للأمير محمد بن عبد العزيز في ١٩ جمادى الاولى وبذلك تم فتح الحجاز كله وأصبح ذلك الفتى الشاب الذي خرج من الكويت بأربعين رجلًا ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ونرجو الله ان يحقق فيه آمال الامة العربية فنراه عن قريب ملكًا للعرب كلها حقق الله ذلك . وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين



أمسِ واليوم

حان دهرٌ على الحجاز ومرّا ... ذاق فيه الطعمين حلواً ومُرّا

ذاق عصراً للراشدين أغرّا ... ثم ظلّت به المصائب تترى

وبعبد العزيز أصبح حرّا ... يشهد الله والملائك طرّا

ثم حُجّاج سائر الأمصار

* * *

قم فسائل عوالم الحجّاج ... كل عام من نائيات الفجاج

كم يعانون فيه من إحراج ... إذ يعدّونهم كبعض الخراج

موردٌ للملوك ذي انتاج ... مذ عنا (١) ابن الزبير للحجّاج

وكذا ما تلاه من أدوار

* * *

سلطة البدو أكبر السلطات ... عزّ فيه أو ذلّ شأن الولاة

فلهم حقهم من (الخاوات) (٢) ... ووفود الإله في عرفات

كنهاب في مالهم والحياةِ ... بلْه ما كان فيه من منكرات

موبقاتٍ جهراً بلا انكار

* * *

أين هذا من حال هذا الزمان ... إذ غدا العدل قائم الميزان

حسب نص الحديث والقرآن ... ثم عمّ الجميع ظل الأمان

باعتناء في صحة الأبدان ... وبهذا قد تمت النعمتان (٣)

فاسأل المسلمين فالكل داري

* * *

لست محصٍ وإن أطلت المقالا ... لعلاه مآثراً وفعالا

حقّ فيها كلام من قد قالا: ... (لذي المعالي فليعلون من تعالى

هكذا هكذا وإلّا فلا لا) (٤) ... غير أني سردتها إجمالا

وهي حقاً كنقطة من بحار

خالد محمد الفرج

(١) عنا خضع وذل (٢) الخاوات ما يأخذه البدو على الحجاج (٣) النعمتان: الصحة والأمان

(٤) بيت مطلع قصيدة لأبي الطيب المتنبي.


KING SAUD
UNIVERSITY
http://makhtota.ksu.edu.sa